دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

(ٱلدَّرْسُ ٱلتَّاسِع)

سُورَةُ البَقَرَة

مِنَ الآيَةِ ﴿١٨٥﴾ إِلَى الآيَةِ ﴿٢١٤﴾

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّد/ حُسَيْن بَدْرِ ٱلدِّين ٱلحُوثِي

بِتَارِيخ: ٩ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ٢٠٠٣/١١/٣ م

ٱلْيَمَن - صَعْدَة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

في الآيات التي ذكر الله فيها تشريع الصيام ذكر بالنسبة لشهر رمضان أنه الشهر ﴿الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾(البقرة:١٨٥) ويدل على عظمة القرآن الكريم وأهميته أن يكون الشهر الذي أنزل فيه هو موضع عبادة هي تُعتبَر ركناً من أركان الإسلام وهي الصيام.

بمناسبة نزول القرآن في شهر رمضان أصبح شهر رمضان شهراً مقدَّساً وشهراً عظيماً، وهذه الأهمية (أهمية القرآن الكريم) هي تتمثل في أهمية وعظمة البينات والهدى التي هي مضامين، وهي الغاية من إنزاله، والبينات والهدى هي في الأخير لمن؟ للناس فيدل على الحاجة الماسّة، الحاجة الملحّة بالنسبة للناس، حاجتهم إلى هذه البينات وهذا الهدى.

أن تكون الفريضة التي فُرضت في هذا الشهر العظيم هي الصيام، وهو الشهر الذي أُنزل فيه القرآن، يدل على أن هناك علاقة ما بين الصيام وما بين القرآن الكريم؛ من حيث أن ما في القرآن الكريم من البينات والهدى، أن الالتزام بهذه البينات والهدى، أن القيام بالدِّين على أساس هذا القرآن العظيم يحتاج من الإنسان إلى أن تكون لديه قوة إرادة، وكبح لشهوات نفسه، وترويض لنفسه على الصبر وعلى التحمل.

فالصيام له أثره في هذا المجال في مجال ترويض النفس؛ لأنك في أثناء نهار شهر رمضان تكبح شهوات نفسك، وتعوِّد نفسك الصبر والتجلّد والتحمل، تعوِّد نفسك أنك أنت الذي تسيطر عليها. فمن المهم جداً بالنسبة لنا عندما نصوم في شهر رمضان، عندما نصوم أن يستشعر الإنسان هذه الغاية من شرعية الصيام، يستشعر أنه يتجلد ويتصبر ويتحمل؛ ليعلّم نفسه، يعلّمها أنه هو الذي سيسيطر عليها بناءً على توجيهات الله، بينات الله، هدى الله، تعوِّد نفسك أنت الذي تقهرها وتُخضعها لهدي الله وبيناته.

لا ندخل إلى شهر رمضان ونخرج بعفوية، دون أن نحسِّس أنفسنا بأننا قد قهرناها، من خلال نهار شهر رمضان؛ عندما نحس بالجوع، عندما نحس بالعطش نقول: لا، أليست هذه عملية تسلّط على النفس، نوعاً من الترويض للنفس وللجسم بكله على الصبر؟ لأنه هكذا بالنسبة للقرآن الكريم، بالنسبة لبينات الله وهداه يحتاج من الإنسان إلى أن يُخضع نفسه في مجال الاستجابة لها والالتزام بها والقيام بها.

شهر واحد من السَّنة كلها يُعتبَر فترة قصيرة؛ ولهذا شرع أيضاً على سبيل التطوع صيام أيام أخرى: كصيام الست الصبر، وصيام الثلاث البيض من كل شهر. إضافة إلى أن الصيام – كما يذكر الأطباء – له فوائد كبيرة من الناحية الصحية، ومعنى هذا: بأن دين الله يتناول بناء الإنسان من كل جهة، وأن من أهداف تشريعات الله الجانب الصحي بالنسبة لجسم الإنسان، والصحة وسلامة الجسم هي أيضاً هامة في مجال الالتزام بهدى الله، في مجال العمل في سبيل الله، في إقامة دين الله.

هذه تساعدنا على فَهم مسألة المرض؛ أنه لا يصح أن نقول دائماً: كل مرض ننسبه إلى الله، ونحن نرى في تشريعاته ما هي ذات أهمية كبرى في مجال صحة الجسم، نحن نرى في تشريعاته ما هي بحاجة للنهوض بها إلى أجسام صحيحة وسليمة، كالجهاد في سبيل الله، هذه متنافية مع أن نقول: (إن الله هو الذي يصب الأمراض صباً على الناس) أو (علامة أنك مؤمن عندما يصب الله عليك الأمراض والمصائب صباً صباً) كما في بعض الروايات؛ ولهذا تجد أن كثيراً من الأشياء الموجودة في هذه الأرض من النباتات والمعادن وحتى الشمس والهواء، يكون لها أثر كبير وتُعتبَر أدوية، نسبة كبيرة جداً من الموجودات في محيط الإنسان فيها أدوية، هي نفسها تدل على أنه: مراد للإنسان أن يكون جسمه سليماً، أن يكون صحيح البدن؛ لأن كثيراً من المسؤوليات في دين الله تحتاج إلى هذا الشيء: إلى صحة الجسم.

إذا كان الجسم مُنهَكاً تتأثر أيضاً في الغالب – أي: بالنسبة لغالب الناس – تتأثر حتى اهتمامات الإنسان، وتَقْصُر نظرته، يكون قريباً من الملل والضجر، إذا كان جسمه سليماً كانت ذهنيته صافية متفتحة. وفي نفس الوقت تُعتبَر صحة الجسم نعمة كبيرة على الإنسان، ويجب أن يعرف أيُّ إنسان منا بأن أيَّ نعمة هو فيها – بما فيها نعمة الجسم، نعمة صحة البدن – يترافق معها مسؤولية. إذا كنت ذكياً، إذا كان لديك حافظة قوية، إذا كان جسمك سليماً؛ فهي تُعتبَر نِعماً يجب أن توظفها في سبيل الله. ودين الله سبحانه وتعالى، والعمل في سبيل إعلاء كلمته مجال واسع جداً يستوعب كل القدرات ويستوعب كل المواهب، وهذه من النِعم الكبيرة

على الإنسان: أن يكون متمكناً من أن يُوظف كل طاقاته في مجال تُعتبَر عائداته كلها له في الدنيا وفي الآخرة، أليست هذه نِعمة كبيرة؟

إذا لم يتذكر الإنسان هذه النِعمة قد يحصل العكس، إذا كان ذكياً إذا كان عنده نفس طموحة وذكاء في نفس الوقت، هي حالة إيجابية إذا وظفها في هذا المجال، إذا لم يوظفها في هذا المجال، إذا قد أصبح معرضاً قد يتحول ذكاؤه إلى شر عليه وعلى الناس، قد يتحول إلى منافق، وفي الغالب ما يكون المنافقون من طبقة الأذكياء، أمَّا الغبي المسكين فهو لا يستطيع أن يكتسب خبرة في مجال الذكاء والتضليل والخداع و أشياء من هذه، لكن الغبي يكون ضحية هذا وسيظل هو ضحية لذاك؛ متى ما أصبح الذكي منافقاً كان الغبي نفسه عُرضة لأن يَضل؛ لكن بالنسبة لمن نقول: إنه (غبي) هو في الواقع إنسان قابل لأن تتطور معارفه، وتتفتح ذهنيته، أن يعطيه الله نوراً؛ فيتحول إلى إنسان فاهم، إلى إنسان ذكي إذا توجّه، ومسألة التوجُّه هي قضية يعرفها كل إنسان: الذكي من الناس والبسيط في ذكائه يستطيع أن يفهم، أن يكون مخلصاً لله، أن يكون مستجيباً لله، أن يلتزم بهدي الله؛ حينها سيَحْصُل ما وعد الله به مَن كان على هذا النحو ﴿**إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا**﴾(الأنفال:٢٩) ﴿**وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ**﴾(الحديد:٢٨).

بنو إسرائيل عندهم بقية مؤهِّلات وراثة الكتاب، عندهم نوع من الذكاء؛ لكن لاحِظ كيف أصبحوا يمثلون شراً كبيراً على البشر وعلى أنفسهم في المقدمة عندما لم يوظفوا ذكاءهم في الاستجابة لله وفي العمل في سبيل الله. العمل في سبيل الله هو بالشكل الذي تزداد أنت فهماً، ومعرِفةً، وذكاءً، وفطنةً، أي: ليست عملية تقول: إنها تستنفد طاقاتي، هذه من الأشياء العجيبة في دين الله؛ قد تكون كثيرٌ من الأعمال والمهام تستنفد طاقاتك، أمَّا العمل في سبيل الله فهو بالشكل الذي تتنمّى معه، وتنمو معه مواهبك (طاقاتك) فعلاً، أليست هذه نِعمة كبيرة أيضاً؟ نِعمة أخرى كبيرة جداً؛ لهذا قال في الأخير: ﴿**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ**﴾(البقرة:١٨٥) تُعظموه وتُكبروه وتُجلوه وتُقدسوه على ما هداكم إليه.

هذه تعني: بأن الإنسان كلما وجد شيئاً من هدى الله يجب أن يستحضر في ذهنيته أن يُكَبِّر الله على ما هداه إليه. مهما بدت القضية كبيرة أمامك، فلْيحاولْ كل إنسان أن ينسف من ذهنيته استثقال أيِّ شيء، لا، النظرة الصحيحة: هو في مقابل ما يبدو وكأنه شاق، ما يبدو وكأنه صعب، ما يبدو وكأن النفس تحس بنوع من العناء في سبيل أدائه؛ يجب أن تلحظ بأنه من النوع الذي يجب أن تُكَبِّر الله على أن هداك إليه.

﴿**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾(البقرة:١٨٥) ليس هناك في دين الله، ليس هناك فيما هدى الله الناس إليه ما هو خارج عن هذه القاعدة، وعمَّا يجب أن تنظر إليه على هذا النحو، وليست القضية التي يمكن أن تجعلها مصيبة، كل تشريع من تشريعات الله، كلُّ ما هدى الله الناسَ إليه هو كله من هذا النوع: من النوع الذي يجب أن تكبِّر الله وتشكره على أن هداك إليه، أي: أن هذا في الأخير نعمة كبيرة عليك.

أليس الصيام يبدو وكأنه يريد أن نجوع ونظمأ طوال النهار؟ هل تنظر إليه بأنه مصيبة علينا؟ لا، يجب أن تُكَبِّر الله على ما هداك إليه، أن شرَّع لك هذه الفريضة؛ لأنه عندما يُشرِّع شيئاً لعباده فكل ما يشرِّعه لهم، كلُّ ما يهديهم إليه، هو نعمة كبيرة جداً عليهم، نعمة عظيمة جداً عليهم.

الصيام له أثر فيما يتعلق بصفاء وجدان الإنسان وذهنيته، ويحس الإنسان بذلك في شهر رمضان، أليس الناس يحسون وكأنهم أقرب إلى الله من أيِّ وقت آخر؟ هذه فرصة للدعاء. تلاحِظ كيف أن الصيام مهم فيما يتعلق بالقرآن الكريم، القرآن الكريم مهم فيما يتعلق بمعرفة الله؛ فيجعلك تشعر بالقرب من الله سبحانه وتعالى. إذاً فمن الإيجابيات الكبيرة له: أن تلمس في نفسيتك صفاء لذهنك، مشاعرك مشاعر دين، مشاعر قرب من الله، أن تدعو الله سبحانه وتعالى ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**﴾(البقرة:١٨٦) هذه من النعم العظيمة؛ لا يحتاج الإنسان إلى أن يبحث أولاً عن جهاز اتصال، كم رقم السماء الفلانية، أو تحتاج إلى أن تصعد إلى أعلى قمة جبل من الجبال، بل تدعوه أينما أنت، أينما كنت، وفي أيِّ وضعية كنت فهو قريب منك، هذه من الأشياء التي ينفرد بها المؤمنون عندما يكونون بالشكل الذي ينقطعون عن تولّي أيِّ أطراف أخرى، إلاّ تولي الله سبحانه وتعالى ومن أمر بتوليهم في سبيل توليه أو كمظاهر لتوليه؛ لأن الناس يتولون مَنْ هو قريب منهم، وليس هناك حُجَّاب فيما بينه وبينهم، مَن يسمعهم في أيِّ مكان كانوا، وفي أيِّ وضعية كانوا.

﴿**أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾(البقرة:١٨٦) كل داع، وليس أن نقول: (القبيلة الفلانية يتجمعون ويكلفون واحداً لأنه سيحتاج إلى أن يسمع لهذا، أمَّا لو أن كل واحد يدعو من عنده، وكل واحد يدعو بحاجته، وكل واحد يدعو

بكذا، ربما تختلط) الله سبحانه وتعالى هو عليم وحكيم لا تلتبس عليه الأصوات.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ أيَّ داع وكل داع بمفرده. عندما ترى الناس في عرفات - هذه من الآيات العجيبة وهي من مظاهر سعة علم الله - ترى الناس في عرفات يدعون، كل واحد يدعو، ولهجات متعددة، ولغات متعددة، وأصوات مختلفة، وكل واحد يدعو، لو تسجل مجموع أصواتهم لَمَا عرفت أنت ربما كلمة واحدة تميِّزها، تسمع ضجَّة فقط.

﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ هذا تذكير للإنسان كإنسان (الفرد الواحد من الناس) أن يعرف أن بإمكانه أن يدعو الله، وهو قريب منه، لا يحتاج إلى أن يتجمع مائة شخص ثم نختار منهم واحداً يمثلهم لكي يدعوه، فإذا دعوناه جميعاً فلن يسمعنا ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾(البقرة:١٨٦) هذا من أساس استجابة الدعوة وهي قضية منطقية، أي: قضية طبيعية؛ لأنها هي الحق. أنك تريد من الله أن يستجيب لكل ما تدعوه به، وأنت في نفس الوقت لا تستجيب له هذه ليست قضية صحيحة. ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ فيما دعانا إليه نستجيب له، ومما دعانا إليه: أن ندعوه. الدعاء هام، الدعاء يجعل مشاعرك قريبة من الله، الدعاء يُعبِّر عن أن نفسيتك في حالة مستمرة في الالتجاء إلى الله، والتوكل على الله، والاستعانة بالله.

الإنسان الذي يَذهَل عن موضوع الدعاء معنى هذا بأنه ماذا؟ مسيطر على مشاعره نسيانُ الله. عندما تكون ذاهلاً عن الدعاء لله ألست بطبيعة الحال في كثير مما يمر بك ستتلفّت يميناً وشمالاً إلى الناس، وإلى الناس كيفما كانوا، وتكون حريصاً على أن تقضي حاجتك ولو على يد إنسان لا يقضي حاجتك إلاّ بما يقابلها من دينك، فعندما يكون الإنسان منقطعاً إلى الله ويدعو الله باستمرار، وكلما مر به من ظروف، كلما مر به من مهام، في كل أمر من أموره، في كل قضية من قضاياه دائم الالتجاء إلى الله، هذه نفسها تمثل حالة من الاستغناء عن أطراف ربما قد يكون رجوعك إليهم فيه إذلال لك، وفيه بيع لدينك، وفيه دخول في باطل.

﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾(البقرة:١٨٦) مسألة الإيمان بالله كما نقول أكثر من مرة: الناس جميعاً مؤمنون بالله، مؤمنون بأن الذي خلق السموات والأرض هو الله، وأن الذي خلقنا هو الله، وأن الذي يدبِّر شؤوننا هو الله، لكن يوجد هنا مطلب في هذه الآية وآيات أخرى: تذكير بأن المطلوب إيمان حقيقي وإيمان واعي.

أنت عندما يقول الله سبحانه وتعالى لك أن تؤمن به: أن تؤمن بأنه إلهك، وما يترتب على هذه القضية من أشياء كثيرة في علاقتك به، وفي علاقتك بهذه الحياة كلها: أنه الإله، أنه الملك، أنه رحيم، أنه عزيز، أنه قوي، كل ما تعني أسماؤه الحسنى؛ إيمانٌ عملي، إيمان واعٍ. هذا الإيمان هو الذي يجعلك بشكل تنقطع إلى الله سبحانه وتعالى، وتنطلق بقوة في هذه الحياة، عندما يدعوك إلى أن تنصره كما قال سبحانه وتعالى في آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾(الصف:١٤) أليست هذه دعوة من جهة الله يريد منا أن نستجيب له فيها؟ قضية الاستجابة متوقفة على نسبة الإيمان به لديك ولديّ، فإذا كنت مؤمناً بالله سبحانه وتعالى حقيقة؛ بأنه هو ملك السموات والأرض، وله ما في السموات وما في الأرض، وهو الغالب على أمره، وهو القاهر فوق عباده، وهو القوي، وهو العزيز، فإن الإيمان الواعي سيجعلك تنطلق في سبيله وبقوة؛ لأنك تعرف أنه دعاك من هو أقوى من كل قوي، وأعز من كل عزيز، وأكبر من كل كبير، ومن هو الغالب على أمره، والقاهر فوق عباده.

هنا علاقة هامة جداً، وعلاقة متينة بين الاستجابة والإيمان به: الاستجابة متوقفة على الإيمان به، إذا كان هناك ضعف في موضوع معرفة الله سبحانه وتعالى، جهل بالله فيما تعنيه أسماؤه الحسنى، فيما يعنيه إيماننا به؛ فهذا يؤثر على الاستجابة - لاشك في ذلك - يؤثر على الاستجابة.

كلنا نقرأ وكلنا نؤمن بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾(الصف:١٤) هل هناك أحد ينكر هذه الآية؟ لكن لماذا لا يحصل استجابة؟ لأن هناك ضعفاً في موضوع الإيمان به؛ ولهذا قال: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(البقرة:١٨٦).

لاحِظ هنا كلها إيجابيات، كلها أشياء هامة جداً، الغاية من ورائها كلها للناس؛ هناك (الصيام) قال فيه: ﴿لَعَلَكُمْ تَتَقُوْنَ﴾ ويقول فيه: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(البقرة:١٨٥) يُذكِّر بأنه نعمة كبيرة عليك، فالاستجابة له والإيمان به لعل الناس يرشدون ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ هل هناك شيء يعود على الله من كل هذه؟ لا. ولا حتى الإيمان به سبحانه وتعالى لا تكون الغاية منه أو ليست النتيجة هي أن الله سيستفيد من ذلك، يعظم سلطانه، أو أشياء من هذه، الله هو غني عن عباده جميعاً.

الأمر بـ(الاستجابة) هنا مُطلق: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ أي: كلُّ ما دعانا إليه نستجيب له فيه، فالاستجابة الجزئية لا تحقق الرشد ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ لأن كلمة (يَرْشُدُونَ) كلمة واسعة، في كل حركتهم في الحياة، في حركتهم في سبيل إقامة دين الله، في كل أمورهم، رشد للدنيا وللآخرة.

لا تأتي الاستجابة الجزئية إلاّ بسبب ضعف في الإيمان بالله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قد تجد الكثير من الناس مستعداً أن يصلي؛ لأن الصلاة لا تمثل خطورة بالنسبة لهم، وربما لو وصلت الحالة إلى أن تصبح الصلاة خطيرة لتجنب الصلاة ويقول: يصلي على الحالة، وبأيِّ طريقة، وهكذا القضايا الأخرى التي يراها وكأنها تبدو صعبة سببُها ضعف أو عدم فهم لِمَا يجب أن تكون عليه في نظرتك أمام كل ما تُهدَى إليه وكل ما تُدعَى إليه كما في الآية الأولى: ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ يجب أن تفرح.

ولاحِظ الناس الذين هم فاهمون – فعلاً – هذه القضية، كيف قال الإمام علي في موضوع الجهاد الذي يَعتبِره الناس مشكلة ومصيبة وحِملاً: (أمَّا بعد: فإن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصّة أوليائه) أليس معنى هذا أنه شيء عظيم جداً؟ فعندما لا تكون هذه النظرة موجودة عند الإنسان ستكون القضية معكوسة عنده، مشكلة ومصيبة عندما يكون إيمانه بالله ضعيفاً تكون استجابته جزئية؛ لأنّ معناه: أنه ليس واعياً بما يترتب عليه إيمانه بأن الله قوي عزيز، ألم يقل الله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(الحج:٤٠)؟ يظن: (أمَّا هذا واللهِ لا نستطيع، ولا نتحمَّل، نحاول أن نستجيب في تلك الأشياء التي تبدو سهلة) لكن الله سبحانه وتعالى كما نقول أكثر من مرة: يجب على كل واحد أن يفهم أنه لا يمكن أن يكون ذكياً أمامه، لا، لا يمكن أن يعمل مثلما يقولون: يدخل الجنة بحيلة، يتحايل ودخل الجنة، الجنة معها (مَقَارِب)[1] لكن ليس فيها حِيَل، يقول أحد: (يمكن أن يجمع له حسنات من أطراف هذه التي ليس فيها خطورة، ولا فيها بذل لنفس، ولا لمال، ولا خوف، ولا...) هناك ربط قبولها بالأعمال الأخرى، وإذا بك صفر في الأخير، لا شيء.

هل أمكنك أن تتحايل على الباري؟ أمكن أن تكون ذكياً أمام الله؟ وإلاّ ستكون حيلة كبيرة، يقول: (لا نستطيع، سنحاول، المهم الجنة، سنحاول أن نجمع لنا حسنات من هنا، ونترك أولئك يجاهدون ويتعبون هم، ونحن سنلتقي في الجنة، ويكونون قد تعبوا ونحن دخلنا ولم نلقَ أيَّ عناء أو أيَّ تعب) ألا تكون هذه حيلة كبيرة؟ لا يمكن.

توطين النفس على الاستجابة لله وعمل الإنسان واهتمامه بأن يعرف الله معرفة واسعة قضية أساسية في أن يكون راشداً، سواءً كنت عالِماً، أو كنت متعلماً، أو كنت من عامة الناس. فمن يتجه لإرشاد الناس وهو بهذه الحالة (الاستجابة الجزئية) فليتأكد بأنه لا يصح أن يُسمِّي نفسه مرشداً، ولا يصح أن يسميه الناس مرشداً. فعلاً هذا ليس مرشداً، هو يرشد إلى أشياء ليست مؤثرة، هل هذا مرشد؟ هو يرشدك في الأخير إلى أشياء ليست مؤثرة إلاّ بالأشياء بالأخرى، هو في نفسه لا يسترشد، لا يهتدي، وإنما فقط يمكن أن يُسمِّي نفسه عالِماً، يُسمِّي نفسه مرشداً، يُسمِّي نفسه معلّماً، والآخرون كذلك يُسمُّونه، لكن هنا: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ فتكون مرشداً حقيقة عندما ترشد، وتسترشد حقيقة عندما تسمع مرشداً، عندما تسمع شيئاً من هدى الله، هنا ستستفيد.

ثم يذكر سبحانه وتعالى فيما يتعلق بموضوع الصيام: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(البقرة:١٨٧).

هذه القضية يجب أن نأخذ منها عِبرة، أن نأخذ منها مثلاً، فعندما تجد الموضوع هو موضوع صيام، وهذا الصيام كان فيه قضية على أساس أن الصيام مازال متوارثاً؛ لأن الصيام هو مشروع في دين الله للأمم السابقة: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(البقرة:١٨٣) فهنا مظهر من مظاهر رحمة الله ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ﴾ لأنه ﴿كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ في المسألة أمام صيام.

يجب أن نأخذ من هذا بأنه: أمام ما هو أشد صعوبة من الصيام؛ أن رعاية الله للناس تكون أكثر فعلاً؛ لأنه سبحانه وتعالى هو الذي شرَّع الصيام والذي شرَّع الجهاد، فعندما تجد بأنه أَحل للصائمين في ليل رمضان ما

(١) مَقَارِب: مُفرَدُها مَقْرَبَة، وهي الطريقُ المُختَصَرَة.

كانت ممنوعة على أساس الصيام من الأول، أليس هذا نوع تسهيل؟ وهذا نوع تسهيل له علاقة بماذا؟ بعملية الصيام ليكون أداؤها سهلاً، فيبدو صيام شهر رمضان قضية سهلة، يعرف الناس: أن الله سبحانه وتعالى يعرف حاجات الإنسان، يعرف متطلبات حياة الإنسان، فعندما يقول لعباده: أن يكونوا أنصاراً له، أليس الكثير منا يُقدِّم قائمة طويلة عريضة (لكن نحن ليس لدينا شيء، وكيف يعمل الواحد، وأمواله يصعب عليه مفارقتها؟ وقد يحصل، وقد، وقد) وأشياء من هذه.

هذه أشياء يعلمها الله، هو يعلمها من قبْلنا، وهذه أمثلة بأنه يعمل أشياء كثيرة، هي تسهيلات في سبيل أن يؤدي الناس ما دعاهم إليه وما أمرهم به، وقضية يجب أن نؤمن بها ويشهد الواقع لها، وفيها وعود إلهية: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾(الأنفال:٢٦) أليس الله يعلم حاجات الإنسان؟ يعلم أنه مخلوق يحتاج إلى أن يأكل ويشرب، يعلم أنه مخلوق ضعيف يحتاج إلى عون في مجال أن يؤدي ما أمره به، هذه سُنة إلهية تجدها في الصيام على هذا النحو، وهكذا في بقية الأشياء بما فيها العنوان الذي يبدو كبيراً أمام الناس: الجهاد في سبيل الله.

يقول أيضاً: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ لا تكون القضية فقط هكذا، بل ينبغي أن تكون أنت تريد: أن يرزقك الله أولاداً، وقضية الاهتمام بأن يكون للإنسان أولاد هي قضية موجودة في القرآن الكريم، نبي الله إبراهيم قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾(البقرة:١٢٤) ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ﴾(البقرة:١٢٨) نبي الله زكريا دعا الله أن يرزقه ذرية طيبة؛ لأن الأولاد عندما يكونون صالحين فهي نِعمة كبيرة على الإنسان، ولأنك في قضية تفرح بأيِّ واحد، فكأنك تتمنى أن لديك عشرة في سبيل أن تعمل في سبيل الله، وتعمل في إعلاء كلمة الله. أليس الواحد منا يتمنى أن يكون لديه أكبر عدد ممكن؟

إذاً فإن الله قد جعل سُنة التناسل، يمكن أن يكون منك أنت خمسة، ستة، عشرة رجال، وأنت تفرح بواحد من هناك، وواحد من هنا. فإذا كان لدى الإنسان اهتمام بدين الله، سيكون بالشكل الذي يفرح بأن يكون له أولاد، وعلى أقل تقدير سيكون أولادك يتوجهون لك، إذا كان هناك مَن لا يتوجهون لك إلاّ بصعوبة حتى يصلح لك واحد، ربما خمسة، ستة أولاد يصلح لك ولو أكثرهم على الأقل، أليست نعمة كبيرة؟

كان العرب في أيام الصراع القبلي فيما بينهم حريصين جداً على الأولاد متى ما جاء له ولد يبشرونه: (يهنيك الفارس) لأن الواحد مكسب كبير، ماذا في ذهنيته؟ عندما يصارع قبيلة أخرى، أو تغزوه قبيلة أخرى.

فالإنسان الذي لديه اهتمام بدين الله وعنده روح جهادية يفرح بأن يكون له أولاد، فتكون القضية مسيطرة على مشاعره وهو يباشر زوجته أنه يطلب ما كتب الله، ما سهَّل الله، وما يسَّر من أولاد: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ لا يحصل التضايق من الأولاد، لا يريد أحد أولاداً إلاّ عندما لا يكون هناك اهتمام في نفسه بدين الله وإلا ما هو الولد بالنسبة لك؟ فارس، أليس فارساً، مجاهداً في سبيل الله؟ أليس المفروض أن تفرح؟ ولهذا أبيح للناس أن يتزوج الواحد بأربع عسى أن يجي لك من الأربع خمسة عشر رجلاً يجاهدون في سبيل الله، يعبدون الله، مكسب كبير لك أنت.

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾(البقرة:١٢٨) اجعلنا، وهما اثنان، لحبه لله، يتمنى أن يكون هناك مسلمون كثيرون لله، وأن يكون هناك عُبّاد كثيرون لله، وعاملون كثيرون في سبيل الله، وفيما يرضي الله، عندما مثلاً تحب شخصاً معه عمل معين، ألست ترغب في أن تبحث عن أحد معك في مجال يرضي الشخص الذي أنت تحبه؟ الإنسان الذي يحب الله، الذي يهتم بدين الله، تكون روحيته هكذا، يفرح أن يكون له أولاد، ولا يُصدِّقْ أحدٌ المحاولات التي يطرحونها، هذه عملية المقصود منها تقليل نسل المسلمين، تبيِّن في نفس الوقت أهمية مثل هذه الآية بالنسبة للمسلمين: ﴿وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أليس الآخرون يريدون أن يقطعوا ما كتب الله لنا؟

لأن النسل إذا قلّ أمكن أن يقضوا على الحاصلين بأعمال كثيرة حتى يصبحوا أقلية، لكن قضية النسل هذه قضية مزعجة عندهم، وموضوع النسل لا تتصور أنه في هذا الشهر مثلاً قد تبدأ زوجتك تحمل في الشهر الفلاني في الشهر الذي أنت فيه، يمكن بعد خمس عشرة سنة - أحياناً قضايا الصراع الناس يتصارعون ثلاثين سنة - خمس عشرة سنة لا تدري إلاّ وقد أصبح رجلاً وفي نفس الميدان. الآن الفلسطينيون كم مر من السنين على صراعهم مع إسرائيل؟ أليس الذين يقاتلون الآن ربما هم أبناءُ أبناء الذين شاهدوا دخول العصابات اليهودية، أبناء أبنائهم (أحفادهم) خمسون سنة من الصراع.

عندما يقولون: تغذيتهم وتربيتهم تُشكّل مشكلة، وأشياء من هذه، لا. المشكلة كلها من عند القائمين على

الناس، من يحكمون الناس، هم الذين يجعلون الفساد ينتشر؛ فتقل البركات، تكون خططهم الاقتصادية فاشلة، ليس لديهم اهتمام بالناس، ليس لديهم خبرة في رعاية الناس لا تربوياً ولا غذائياً، وإلاّ فالله سبحانه وتعالى قد جعل الأرض واسعة.

ثم إنه بالنسبة للشعوب، بالنسبة للأمم، غير صحيح بأنه إذا ازدحم الناس، أصبح عدد شعب من الشعوب عشرين مليوناً بأنه سيكون شعباً ضعيفاً، لا، بل يقولون فيما يتعلق بالنمو الاقتصادي: إن الشعوب الكبيرة تصبح هي سوقاً لنفسها، سوقاً استهلاكية هي، إذا كنتَ شعباً صغيراً مثلاً عدده مليون أو مليونين ونصف، ولديك قدرات رأس مالية عند أفراد لديهم رؤوس أموال كبيرة، يُصَنّع قليلاً وامتلأ سوقه، يحتاج إلى أن يحاول كيف يبحث عن أسواق أخرى. لكن لاحِظ (الصين) مثلاً مما ساعد على نهوضها ما هو؟ سوق عالمية في نفس البلد، مليار وزيادة، أي: سوق استهلاكية كاملة، تنهض الشركات، وتنهض المصانع، وتنهض رؤوس الأموال، وتحرك رؤوس الأموال بشكل كبير.

هذه خطة غربية بالنسبة للعرب بالتحديد، وبالنسبة للمسلمين بشكل عام؛ ولهذا يحاولون أن يشجعوا على تحديد النسل، ويوزعوا أدوية ووسائل كثيرة؛ لتحديد النسل ليقطعوا نسلنا.

أرضنا هنا اليمن نفسها ما زال هناك محافظات فاضية، يوجد بلدان كثيرة فاضية، ليس هناك محافظة أهلها قد ملؤوا أرضها، هل يوجد؟ ليس هناك قبيلة تقول: سكانها قد أخذوا مساحتها كاملة، حالات نادرة جداً، في كل محافظة لا يزال هناك مساحة واسعة، ولا يزال هناك مناطق واسعة يتسع الشعب الواحد مثل هذا، ربما يتسع لمائتي مليون، فما بالك عندما نقول: عشرين مليوناً، هذه أزمة، نحن مستقبلون أزمة رهيبة قد تؤدي إلى ما يسمونه هبوطاً في النمو الاقتصادي، وإلى أزمات اقتصادية، هذا غير صحيح.

تجد أزمات اقتصادية مع شعوب قد لا يمثل سكانها إلاّ نسبة بسيطة مقارنة بمساحتها ومعهم أزمة، ليست الأزمة تعني: أنها قد امتلأت بلادهم بالناس، والمساحة كلها قد أصبحت كلها مليئة بالناس، لم يعودوا يعرفون أين يزرعون، ولم يعودوا يعرفون أين يربون مواشي، ولم يعودوا يعرفون أين يعملون مصانع، ولم يعودوا يعرفون أين يعملون مدارس، لا. ثم إن مسألة النمو الاقتصادي هي قضية ليست كلها مرتبطة بالأرض فقط، أيضاً هي مرتبطة بعلاقة الناس مع الله: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف:٩٦) ولو لم يكونوا إلاّ سكاناً قليلاً وبلادهم واسعة جداً تجد عندهم أزمات اقتصادية، تجد عندهم مجاعات، تجد عندهم سوء تغذية، تجد عندهم حالة سيئة.

مسألة التربية ليس معناها أن الإنسان نفسه سيحتاج إلى أن يجلس مع أولاده كل يوم، ويعمل له فصلاً دراسياً في البيت فلا يتمكن من طلب الرزق ولا يقوم بأيِّ عمل. موضوع الهداية في دين الله تكون غالباً لها طرق كثيرة جداً، يمكن لواحد أن يهدي قبيلة كبارهم وصغارهم، يوجِّه، وليس فقط إذا كثر أولادك تعمل فصلاً دراسياً، يوجد أشياء مُعيَّنة توجيهية تحرص على أن يقرؤوا القرآن، تتابع عملية تربيتهم، وإلاّ فقضية التربية هي أساساً ليست متروكة على هذا النحو لكل أب؛ لأن الله يعلم أن الكثير من الآباء لا يكون لديهم قدرة، أو سيربي تربية غلط، هي قضية منوطة بالقائمين على حياة الناس، أليس هناك مدارس، ويمكن أن يكون هناك مدارس؟ لكن لاحِظ المدارس الخلل فيها فيما يتعلق بالمنهج، وفيما يتعلق بكثير من المعلمين، فعندما تلمس فساداً في كثير من الشباب، في كثير من الكبار الذين هم خريجو مدراس فالسبب خطأ في التربية من القائمين على التربية.

ليست القضية أن هناك زحمة سكان، لا. الأخطاء في مجال التربية تكون آثارها سيئة ولو كانوا بمعدل عشرة طلاب في الفصل الواحد، وليس فقط خمسة، ولو بمعدل عشرة طلاب وهي تربية سيئة سينشأ هؤلاء عناصر تفسد في الغالب، سواءً تولى عملاً إدارياً أو في أيِّ مجال هو فيه، تربيته تربية فاسدة في معظم ما يُقدَّم إليه، أمَّا ونحن ما زلنا أيضاً فاتحين المجال يأتي اليهود ليربوا الناس فهذه (أطمُّ) وهذه أيضاً أسوأ، وهذه من أين جاءت؟ من أين؟ من القائمين على الناس، هو همه أن يسلَم منصبه، أن تسلَم رؤوس أمواله، أن تسلَم مصالحه، ولو ضحَّى بالناس وبدين الله وبكتابه. قضية ملموسة تجد الكثير من حكام العرب قابلاً لأن ينزّل أيَّ شيء تريد (أمريكا) أن تفرضه، سينفذه ليسلَم منصبه ويسلَم مقامه، أليس عندهم شعوب كبيرة ملايين، لو ربوهم تربية جيدة لاعتزوا هم، ولهابت أمريكا أن تحاول أن تمارس أيَّ ضغط على أيِّ شعب من الشعوب.

فيما يتعلق بالنمو الاقتصادي أيضاً قلنا سابقاً: إن الشعب الكبير يشكل سوقاً استهلاكية لمنتجاته هو، يساعد على النمو الاقتصادي. اليد العاملة أيضاً، حتى إنهم يقولون عن بعض البلدان في أوروبا: إنها ربما قد تنهار

اقتصادياً بعد فترة من السنين، وهي من البلدان الراقية صناعياً بسبب ماذا؟ قلة اليد العاملة، بسبب تحديد النسل، لاحِظ في إسرائيل هل هناك تحديد نسل، أو أنهم يبحثون عن اليهود من خارج يجمعونهم لماذا؟ لأن لديهم اهتماماً، لديه طموح كبير بأن يهيمن على العالم، فهو يحتاج إلى الشخص الواحد.

والعرب، المسلمون بشكل عام أعداد كبيرة جداً جداً، وإذا بهم قد أصبحوا متذمرين من كثرتهم، والحكام أنفسهم صاروا يقولون: (مشكلة، قد أصبحتم زحمة) لكن لماذا لم تشكّل زحمتنا انهياراً لاقتصادك أنت؟ أليس لديهم أموال كبيرة جداً، ولديهم بنايات فخمة جداً، ولديهم رؤوس أموال كبيرة جداً في الخارج؟ حتى إنه لا يوظفها هنا، لو أنهم يوظفونها هنا في داخل البلاد لكانت تشكل نِعمة، فقط عندما يأتون يقولون لنا: أنتم عندما تكونون في أزمة اقتصادية - في الواقع سببها هم - يقولون لنا: سببها أنتم، قد أصبحتم كثيراً (زحمة) مزدحمين هناك، لكن لماذا أنت توفر أموالاً هائلة جداً، وتطفح عندك وتصدِّرها للخارج أرصدة في البنوك؟

إذاً قضية تحديد النسل ليست قضية صحيحة أن يتسابق الناس إليها نهائياً إلاّ في حالة واحدة عندما تكون المرأة نفسها حالتها الصحية تستدعي بأن تتوقف عن الحمل، وإلاّ فالباري سبحانه وتعالى جعل مسألة الحمل والولادة قضية مقبولة عند المرأة، وفي طاقتها، قضية مقبولة، وإنما يكون هناك حرص على صحة المرأة نفسها، عندما تكون الزوجة صحتها جيدة ويحاول الزوج أن يوقفها حتى لا تُنجب على أساس أنه (لا نريد أولاداً، لا نريد) هو في نفس الوقت يكشف أن ليس لديه اهتمام.

عندما تكون أنت معلّماً ألست تفرح بواحد من الناس؟ تفرح بواحد من الطلاب؛ يكون منك واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة إلى عشرة، أليست نعمة؟ يتوجهون لك، ويتربون على يدك، والباري هو المتكفل برزق الناس إذا التجأ الناس إليه، وتوكلوا عليه، هو يوفر أرزاقهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾(الطلاق:٢، ٣) ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ﴾ هي مثل: ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوْا لِي﴾ ليس هناك نصف تقوى، وربع تقوى، وربع استجابة، هذه لا تُقبَل.

تجد سهولة التشريع فيما يتعلق برسم حدود الله، عندما يقول هنا: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾(البقرة:١٨٧) هذه علامة واضحة لكل الناس في عبارة واحدة ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾(البقرة:١٨٧) ألم ينتهِ تحديد بداية الصيام وانتهائه؟ بكل سهولة وبأسلوب يعرفه الناس، عندما نقول: نريد أن يقرأ الناس هو هذا (المَقْرَأ) لكل الناس، هي هذه الآية، هذا هو (المَقْرَأ) هذا هو التعليم، وليس الكتاب الفلاني الذي هو هناك مليئ بمسائل كثيرة تضيع الحدود الحقيقية.

الله جعل الأشياء بالشكل الذي يستطيع الناس أن يفهموها ويميزوها، الناس يعرفون الليل، هل يوجد أحد لا يعرف الليل؟ ويعرفون الفجر عندما يطلع الفجر: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ نور الفجر مع بقايا الليل؛ لهذا قال في الأخير: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾(البقرة:١٨٧) لأن التقوى أن يكونوا متقين يحتاجون إلى بيان فتكون الحدود بيِّنة، فبيَّنها ليتمكنوا من أن يتقوه، يكونوا متقين.

قد تكون بعض الروايات غير صحيحة عندما يقولون: (إن أحد الناس عمل له خيطاً أبيض وخيطاً أسود) القرآن عربي والناس عرب وهم فاهمون الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر (ثم قال: فنزلت ﴿مِنَ الفَجْرِ﴾) هذا ليس أسلوباً صحيحاً، ينزل لك ربع آية أو فقرة من آية، وهو هنا يقول كسُنة لديه سبحانه وتعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ليس المقصود خيطاً أبيض وخيطاً أسود، تبقى في الشارع تراقب الخيوط وتنظر فيها حتى تظهر لك، أليست هذه قضية صعبة ودقيقة؟ تحتاج آخر الليل تراقب متى يتميَّز لك الخيط الأبيض من الخيط الأسود حتى قال لهم: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ وهنا اتضح لهم أن ذلك الخيط المعترض خيط الفجر الذي هو خيط أبيض مع بقايا الليل التي تبدو وكأنها خيط أسود.

عبارة ﴿كَذَلِكَ﴾ هي توحي بسُنة: أنه هكذا سُنة الله، أنه يبيِّن آياته للناس لعلهم يتمكنون وبسهولة من معرفة حدوده، فيكونون متقين له، ليست قضية عويصة على الناس أنه متى نفطر بالتحديد، وأخذ ورد، وأناس معهم روايات عند غروب الشمس عندما يسقط القرص أفطر، عندما تغرب أفطر، لا. هنا يقول: ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ والليل معروف، في آيات أخرى هناك يبيِّن أن الليل هو ظلام، أليس ظلاماً؟ الليل يتميز عن النهار تماماً: ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُظْلِمُونَ﴾(يس:٣٧).

ثم يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ﴾(البقرة:١٨٨) هنا تجد تشريعات متعددة، وتوجيهات متعددة بعدما قدَّم هناك بتركيز كبير على موضوع: التسليم لله سبحانه تعالى،

التسليم لله الذي معناه في الأخير: تقبُّل هداه، والالتزام بهديه، وهديه هو واسع يتناول مختلف الأشياء، فكما أنه هنا يشرع الصيام، هناك في جانب التقاضي فيما بين الناس، التقاضي في الأشياء التي يختلفون فيها، ينهاهم عن ماذا؟ ينهاهم عن الرشوة (أنت أدلِ بشهاداتك، إذا معك شهادات أدلِ بشهاداتك) أدلِ بوثائقك، أدلِ بدعواك أو إجابتك، لكن لا تدلِ بأموال، ولهذا سمّاها: ولا تدلوا؛ لأنها بدل عن الشهادة التي تدلي بها، بدل عن الدعوى، بدل عن وثائق مُعيَّنة تعطي فلوساً والحاكم سيلفق القضية، يحاول أن يجعل الحق لك. فعندما يكون نفس الحاكم قابلاً لأن يرتشي وأنت تعرف أنه كذلك فإنك تتجاوز حدود الله، وتظلم نفسك أنت، قضية يُنهى عنها الحاكم، ويُنهى عنها الناس المتقاضون.

﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ فعندما أحاول عن طريق الرشوة أن أحصل على مال آخر فأنا أكلت ماله بالباطل، وفي الواقع كثير من العبارات في القرآن الكريم فيما يتعلق بموضوع المال: أن المال له دور اجتماعي، المال هو مال الناس في الواقع، أي: في حركة المال التي رسمها الله سبحانه وتعالى هي في الواقع تجعل المال وكأنه للكل؛ لهذا ربط مسؤوليات كثيرة بأصحاب رؤوس الأموال.

أليس هناك شرَّع الزكاة، أوجب عليهم الزكاة، أوجب عليهم الإنفاق في سبيله، حرَّم عليهم أن يكنزوا أموالهم؟ بل يحركوها: المال يجب أن يكون في دورة مستمرة، في حركة. إذا كان لديك رصيد من الأموال فلا تتركها تتراكم أموالاً هناك بل شغّلها، عندما تشغّلها فأنت تثمِّرها وتشغّل آخرين يعيشون معك فيها، هذه قضية هامة؛ ولهذا يأتي في كثير من الآيات بعبارة أموالكم: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ لأن حركة المال هي بالشكل الذي في الأخير يبدو وكأنه مال الأمة. تأخذ من هذه أهمية ما يُسمَّى بالمال العام، الثروات، الواردات العامة، أنها هامة جداً جداً في مسألة تحسين معيشة الناس، هامة جداً؛ لأن النظرة الخاصة بالنسبة للمال ليست نظرة صحيحة من الناحية الاقتصادية، لا ينمو اقتصادك أنت، لا ينمو مالك أنت – سواءً كان بشكل تجارة، أو بشكل زراعة – إلاّ في إطار الحركة العامة للمال.

إذا سلم المال العام أمكن أن يكون هناك قدرة شرائية، وقدرة في مجال ماذا؟ حركة الناس، في تجارتهم وزراعتهم، فتنهض رؤوس الأموال، تنهض الأموال، وتكثر الأموال. إذا كان هناك اختلاس للأموال العامة تأتي كثير من الأعباء، تضاف على الأموال الخاصة، تَضْعُف قدرة الناس الشرائية، وفي الأخير لا تدري إلاّ وصاحب الدّكان عاطل عن العمل لا يوجد بيع وشراء، ذلك المُزارع زرع وسقى وتعب وحصد، أو جنى ثمار مزرعته، وصل وإذا السوق كساد؛ لأنه يحصل كثيرٌ من الأعباء؛ ولهذا هم يعملون (جُرَع اقتصادية) كما يسمونها، أليست أعباء على الناس أنفسهم؟ كان المفروض الجُرع الاقتصادية تكون على المسؤولين الكبار هم، الذين عندهم رؤوس أموال كبيرة، هم من ينبغي أن يتقشفوا قليلاً، يخففوا قليلاً، وليس أن يضيفوا. إذا كان هناك ديون على بعض البلدان تراها في الأخير تتحول إلى زيادة في الأسعار، ثم لا تدري إلاّ والسلعة قد زاد فيها مائة ريال، لا تدري إلاّ وفيها زيادة مائتي ريال، لا تدري إلاّ وفيها زيادة بنسبة ١٠٠٪ أو أكثر.

أليست ستضعف قدرة الناس الشرائية، ويصبحون في عذاب من الغلاء؟ لأن هناك تلاعُباً بالأموال العامة وإلاّ فالأموال العامة نفسها، واردات أيِّ بلد وهذا من الأشياء الغريبة جداً في البلاد العربية بالذات، تجد بلداناً فيها ثروات هائلة جداً، وعليها ديون كثيرة جداً، عليها ديون كثيرة بالمليارات مليارات الدولارات، لاحِظ كيف ثرواتنا ليست بالشكل الذي يمكن أن يكفي حاجاتنا؟ لا يوجد أناس يعرفون كيف يخططون حتى يستطيع أيُّ شعب أن ينهض بنفسه دون أن يتحمل ديون مليارات الدولارات، اليمن نفسه يقولون عليه حوالي ثمانية مليارات دولار دين! العراق كان عليه ما يقارب أربعين مليار دولار وعنده احتياطي نفط، عنده نفط كثير جداً، عنده ثروات كبيرة جداً!

يوجد خلل بالنظام بشكل عام، في النظام الإداري، في التوظيف، خلل في التخطيط، خلل في استغلال الخيرات، خلل كبير في التعامل مع الله؛ ولهذا تجد الناس ثرواتهم لم تعد تشكل شيئاً. ألم نصبح نحن عالة على الآخرين تقريباً في مأكلنا وفي ملبسنا؟! حتى البلدان التي لديها ثروات هامة أصبحت عالة على الآخرين: مأكلنا، ملبسنا، أدويتنا، الوسائل الضرورية والكمالية كلها من عند الآخرين من الخارج، ومع هذا تجد ديوناً كبيرة وثرواتنا أين؟ الثروة البحرية لليمن وحدها تكفي اليمن، الثروة الهائلة في البحر، ساحل طويل عريض حوالي ألفي كيلو، البحر الأحمر، والبحر العربي ناهيك عن البترول والمعادن، وواردات كثيرة.

في مجال التقاضي قد يكون طبيعياً أن يختلف الناس، اختلاف التباس، مثلاً أنت تعتقد أن هذا لك والآخر

يقول: ليس لك إنه له. هذا طبيعي أن يتقاضى الناس ويتحاكموا على هذا النحو، أي: الالتزام بأن لا أحد يُقدِّم رشوة، أمَّا أن تأتي أنت تحاول أن تدّعي، وتظن بأنه فرصة عندما تسمع أن فلاناً ليس معه (وثيقة) على تلك الحاجة التي هو ثابت عليها، فتحاول بأيِّ طريقة أن تأخذ أمواله، وأنت تدري - على أقل تقدير - أنت تعلم بأنها ليست لك سواءً تعلم أنها له أو ليست له؛ لأنه لا يجوز أن تحاول ببصيرتك بذكائك وبخبرتك؛ لأنه قد أصبح عندك خبرة كيف تشاجر وقد أصبح عندك خبرة كيف تُقدِّم دعاوى ووثائق وأشياء من هذه، هذا لا يجوز أبداً.

البعض عندما يعرف أن صاحب الحق ليس لديه خِبرة في المشاجرة، فيدفع به هذا إلى أن يبحث عن (شهادات) ولو كانت زوراً، أو أحياناً يحلف يميناً فاجرة؛ هذه خسارة كبيرة، وشهادة الزور واليمين الفاجرة من الكبائر. يتقاضى الناس بسهولة، يتشاجرون بسهولة، وهم إخوان، ويقتنعون من أول يوم، ادّعى وأجاب، وقدَّم ما عنده، إذا لم يثبت له شيء اقتنع، الله لن يربط رزقك بتلك الخصلة، أو يربط حياتك بها، أو يربط عزتك بها، أو يربط كل أمورك بها، ربما لو كان في واقع الحال أنت مظلوم فيها أن الله قد يعوضك.

أحياناً بعضنا قد يغلطون في موضوع التقاضي، يتحول إلى عداوة بين الأسرة وبين المتشاجرين أنفسهم، ثم بين أولادهم وأقاربهم، وفي الأخير لا تدري إلاّ وقد صار هناك عداوات بأكثر من القضية، تكون القضية لم تعد تقريباً في الذهنية، قد صار هناك أشياء كثيرة، وقد صار هناك كلام واتهامات، يصبحون أعداء، قلوبهم مليئة بالعداوة والبغضاء لبعضهم البعض.

الرشوة خطورتها قد تُفسِد الحكام، إذا كان الحاكم لا يأخذ شيئاً لا من عندك ولا من عند ذاك ما الذي سيدفعه إلى أن يحاول أن يحكم حكماً باطلاً؟ أليست المسألة هنا ستدفعه إلى أن يحكم بما رآه من وجه الحق؟ لكن إذا قد صار هناك رشوة فإنها تفسده، وخاصة إذا كان لديه أيضاً زوجة في البيت عندما سمعت أنهم قد عيَّنوه حاكماً في مديرية كذا قد صار لديها طلبات: تريد أثاثاً، تريد أن يشتري لهم سيارة جديدة، وتريد أن يبني لهم طابقاً فوق البيت، أو تريد بيتاً جديداً هناك يكون مثل بيت آل فلان، ويكون مع الحاكم ضغط داخلي من السهل معه أن يفسد ولو بدا في الصورة بأنه ملتزم لكن رأى مبالغ من خمسين ألف، مائة ألف، لا تدري إلاّ وقد أفسدوه نهائياً، ضغط من داخل بيته، وقلة إيمان في نفسه، وعمل المتشاجرين، رشاوى ﴿لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:١٨٨).

يأتي شيء آخر فيما يتعلق بهذا، سعة الموضوع هنا، تشريعات متعددة، توجيهات متعددة، كلها في قائمة هدى الله، توجيهات تربوية بالنسبة للناس في موضوع الأسئلة والتساؤلات وأشياء من هذه قضايا قد تكون لست بحاجة إلى أن تسأل عنها مثل قضايا عامة، قد تصل إليها من خلال القرآن الكريم مثلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾(المائدة:١٠١).

﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ أليس هذا سؤالاً جديداً؟ هل هي قضية هامة بالنسبة للأهلة؟ يعني لماذا الهلال هكذا معقوفاً؟ ولماذا كل شهر له هلال معقوف؟ هم عارفون فيما يتعلق بالفائدة من الهلال هو أنه ماذا؟ ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ بداية الشهر قضية معروفة عندهم. السؤال عن: لماذا الهلال بهذا الشكل؟ هذه قضية ليس الناس بحاجة إليها في نفس الوقت، القرآن الكريم، رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) إذا كانت هي قضية هامة فهو سيتحدث عنها، يقبلون الحاصل، يتفهمون الحاصل (وكَثر الله خيرهم) بدل البحث عن أشياء أخرى.

﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ كيف كانت الإجابة؟ ألم ينصرف عن الإجابة التي يريدونها هم؟ ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾(البقرة:١٨٩) هدى الله سبحانه وتعالى يُقَدَّم بالشكل الذي يكون واسعاً جداً، المطلوب هو أن تتفهم، ولأنه قضية مُعيَّنة، قد تكون في مرحلة مُعيَّنة، في وقت مُعيَّن ليست هامة، متى ما أصبحت هامة سيأتي بيانها، سيبيِّنها. عندما يُعوِّد الإنسان نفسيته على التساؤلات، لا، عوِّد نفسك على أن تتفهم أكثر، وتصغي أكثر، وتسمع أكثر.

لاحِظ كيف الآيات تختم كثيراً منها بكلمة (تعقلون، تفقهون، تذّكرون، تُبصرون، تسمعون) هكذا، لا يوجد (لعلكم تسألون، لعلكم تتساءلون، لعلكم تناقشون، لعلكم تجادلون) لا يوجد؛ لأن الله سبحانه وتعالى أعطى الناس هدى واسعاً، والإنسان إذا لم يعوِّد نفسه على هذه الحالة (على أن يعقل، يفقه، يفهم، يصغي) يكون البديل عن هذا روحية تساؤل، فتكون هذه في الأخير بالشكل الذي تضرب نفسيته، فيجهل أشياء كثيرة هي هامة وهو يبحث وراء تساؤلات هي لا تشكّل قضية مهمة في الواقع.

مثلاً لاحِظ عندما تأتي إلى ما حصل ممن يتساءلون: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾؟ لو أنهم ركّزوا بشكل كبير

(يوم الغدير) عندما قال لهم: ((من كنت مولاه فهذا علي مولاه)) فرفضوا أيَّ شخص يحاول أن يقفز على ولاية أمر الأمة غير من عيَّنة الرسول؛ لأنهم فاهمون أهمية الموضوع، متعودون من قبل على أن يركّزوا على ماذا؟ أن يتفهموا، يصغوا، يعقلوا، يتذكروا؛ لكانوا أسلموا الأمة الحالة السيئة التي وصلت فيها، والضلال الكبير بدلاً عن السؤال عن الأهلة، نسألهم لماذا لم تفهموا بالشكل المطلوب، وتستقيموا وتثبتوا على التوجيه الذي قُدِّم لكم على أعلى مستوى عندما عاد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) من الحج؟!

قضية ثابتة ومعروفة عند الناس صعد من فوق أقتاب الإبل ويرفع يد الإمام علي وبعد خطبة طويلة: ((أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه)) هذه هي القضية الهامة التي لو فهموها، أهم من أن يعرف الهلال لماذا هو معقوف، أليسوا هنا جعلوا الأمة معقوفة؟! ضعفت الأمة، ضعفت ضعفت إلى أن تحولت مثل الهلال المعقوف، كان المفروض أن يتفهَّموا بدلاً من أن يشغلوا ذهنيتهم بالأهلة. ولأن من المعلوم أن هداة الناس يكونون حريصين على الناس أكثر من أنفسهم، حريصين على أن يتفهموا أكثر، وأن يعرفوا أكثر، وأن يستبصروا أكثر، أكثر من أنفسهم هم؛ لأنه ما هي الإشكالية التي حصلت عند بني إسرائيل؟ ألم يكن هناك هدى بالشكل الذي يغطي كل الأشياء التي في أذهانهم؟ الخلل جاء من عندهم هم، روحية التساؤلات ﴿مَا لَوْنُهَا﴾ وأشياء من هذه، ضيَّعتهم في الأخير، تساؤلات حتى عن أصحاب الكهف، كم هم؟ هل ثلاثة رابعهم كلبهم، أو خمسة سادسهم كلبهم، وهكذا؟

الإنسان يعوِّد نفسه بعد أن يفهم، أي: يجب أن تفهم أنت منهجية المعرفة، لا تعتقد أن المعرفة معناها: أنه في يوم واحد أو في شهر واحد يجب أن تعرف كل شيء، هذه المنهجية غير صحيحة حتى من الناحية العلمية السائدة الآن في الدنيا: أن أهم مصدر في المعرفة هو ما يُسمَّى بـ(البحث العلمي) إن المعرفة تأتي ضمن مسيرة، ضمن حركة، تأتي المعرفة بهذا الشكل، فعندما تتسع دائرة مهام الناس، يتسع ماذا؟ شعورهم بأنهم بحاجة إلى هذا، وبحاجة إلى معرفة هذا، فيكونون أقرب إلى أن يعرفوه وتكون معرفتهم له بالشكل الذي يستطيعون أن يستفيدوا من خلال معرفتهم له، فتنمو معرفتهم في نفس الوقت، أمَّا مجرد أنك تريد أن تعرف كل شيء كل شيء في شهر واحد فهذا لا يحصل ولا للأنبياء أنفسهم لماذا؟ لأن هذه ليست الطريقة الطبيعية للمعرفة.

هنا في البلدان العربية قد يكون مثلاً في بعض المناهج أو حتى كتب في المكتبات تتحدث معك عن القمر، وعن الفضاء، وعن هذه الأشياء، لكن أنت تقرؤها، ما الذي ستستفيد منها في الأخير؟ بينما الآخرون هي نتاج من بحثهم العلمي، من معارفهم العملية. أليست هي نتيجة أعمال؟ أو فقط مجرد نظريات هناك؟ ما الذي أوصلهم إلى هذه الحالة: أنهم يفكرون أن يسافروا إلى الكواكب وإلى القمر؟ مهام عملية تتوسع دائرة مهامهم، شؤونهم كدولة، قضايا الصراع مع الآخرين، تطورهم العلمي هنا جعلهم يفكرون عملياً بأن يستخدموا أشياء أخرى، أو يستفيدوا من أشياء أخرى. فعندما يصعدون إلى الفضاء لا يصعدون رحلة فقط، ليعرفوا القمر: هل هو مُكوَّر؟ هل هو يضيئ هو أو هو يضيئ من هناك؟ مهام عملية، بحث. ولهذا يقول البعض: بأن أول فكرة لديهم في أن يصعدوا إلى الفضاء كان منشؤها أثناء الصراع بينهم وبين (الاتحاد السوفيتي) ودول أخرى أنه إذا بالإمكان أن تكون منصة لإطلاق الصواريخ إلى الأرض، هذا أول دافع، أليس دافعاً عملياً؟

إذاً فهذه هي قضية أساسية في المعرفة، ومتى ما جاء الشيء في وقته، متى ما جاء الشيء ممتزجاً بروح عملية وتحرك عملي يكون بالشكل الذي يفيد معارف، إذا كان مجرد نظرية سيبقى مجرد نظرية لا تستطيع حتى أن تتوسع فيها. أنت عندما تقرأ هنا عن الفضاء وعن صعود الأمريكيين أو السوفييت إلى المريخ أو إلى القمر، هل تستطيع أن تزيد في هذه النظرية، أو تنتظر فقط ما يأتي من جانبهم من خلال ماذا؟ اكتشافاتهم هم التي هي عملية، أليست عملية؟ تنظر فيها ولا تستطيع أن تزيد ولا أطروحة واحدة، تقرأ وتتجادل أنت والآخرون فقط، جَدَل وأَخْذ ورَد وترديد في تلك الدائرة، لن تستطيع أن تزيد ولا تنقص لماذا؟ لأنك بعيد عن هذا الموضوع ليس لك علاقة عملية به، أي: - في واقعك، في حركتك - بالشكل الذي تتحرك فيه، وبالشكل الذي تعرف أنت من خلال عملك، وألاّ تنتظر فقط ما سيأتي من عند الآخرين عندما يرحلون مرة ثانية، ومرة ثالثة، وهكذا.

العبارة هنا تبدو مقدَّمة، وفيها نوع ما يُسمَّى الاستخفاف بهذه القضية: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ أي: ليست هذه قضية في الواقع: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ﴾ القاعدة من أساسها لا تعني: بأن الله لا يريد للناس أن يعلموا، إنما كيف يعرفون أن يعرفوا، أن يتعلموا كيف يتعلمون، أن يعرفوا أن للمعرفة منهجية، أن تكون مرتبطة بحركتهم

العملية، تتوسع معارفهم، وتتوسع مهامهم، تستوعب ربما أكثر مما استوعبه الآخرون، ألم تصل معارفهم إلى أن يستفيدوا من الشمس ويحولوها إلى طاقة تغذي المركبات الفضائية والأقمار وتغذي حتى المنازل؟ حوَّلوا الأشعة نفسها إلى طاقة كهربائية.

هم يتساءلون عن أشياء هم ليسوا في حاجة إليها، وهم في الواقع لديهم ممارسات غريبة، فعندما يعود من الحج يأتي بيته من فوق، لا أدري من أين جاءت لهم هذه، يعني: كيف منشؤها أنه لا يدخل من الباب؟ ألم يكن من المفروض على الأقل إذا كان سيسأل يسأل هل ندخل من الباب؟ هل طبيعي أن ندخل من الباب أو ضروري أن ندخل من فوق البيت؟ تسأل ما هي الأهلة وأنت لاتزال تدخل من فوق البيت عندما تعود من الحج!

﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾(البقرة:١٨٩) هنا يُبيِّن كمنهجية للناس، أي: أنت مرشد، أو معلّم، أو حتى مناظر، أو في حوار مع آخرين، لا يكن معناه أن موقفك أن يسأل وأنت تجيب على كل قضية بالتحديد ومقارعة التي يسمونها: (مقارعة الحجة بالحجة) قد يكون الموضوع: لا، اصرفه، ليست قضية، هل كانت الإجابة من جانب رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن يأتي إلى الأهلة، كيف يصل الهلال إلى أن يصبح هلالاً، أو انصرف عن الموضوع إلى ما هو عملي، وإلى ما هم بحاجة إلى معرفته ﴿مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾؟ وهم عارفون له من قبل: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ أليست هذه معناها عملية صَرْف؟ انصراف عن أسئلة من هذا النوع.

﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(البقرة:١٨٩) ربما يعتقدون أنها مندوبة، أو عندهم أشياء من هذه ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ عندما تعود من الحج فادخلْ من الباب.

إذاً لاحِظ هنا فيها أدب في موضوع التساؤلات يرشد الناس إلى الطريقة الصحيحة للمعرفة. وقد تكون هذه الآية لها علاقة أخرى باعتبارها أيضاً موجهة من الناحية السلوكية أنه غير طبيعي أن تأتي البيت من فوق، ادخلْ من الباب ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ تجد استفادة مما تعني هذه: أن تأتي المعرفة والمعارف والهدى من أبوابها؛ لأن كل شيء له باب، أليس الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) مثل نفسه وعلمه بـ(مدينة) وجعل باب هذه المدينة هو مَن؟ علي ((أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها)) حتى أصبحت مسألة الأبواب عناوين، أليست عناوين داخل الكتب؟ (بابٌ) أي: باب للدخول إلى معرفةٍ ما داخل هذه الصفحات، كل شيء له باب، فالمعرفة من حيث هي لها أبواب، أي: أن الله فيما هدانا إليه، هدانا إلى أن نعرف المنهجية الصحيحة للحصول على المعرفة.

عندما تأتي للقضية من أساسها بالنسبة لهدى الله أنها ماذا؟ هدى الله ليس مجرد نظريات ولا حتى مجرد فتاوى، إنما هو ماذا؟ حركة حياة، هدى عملي، هدى حركي. الآخرون ترسَّخت عندهم هذه القضية أكثر منا بكثير، حتى أصبحت مسألة أن يكون هناك حرب فرصة لديهم، فرصة لأن يعرفوا كثيراً من الخبرات، ويجربوا كثيراً من الأسلحة، ويعرفوا ما يمكن أن يطوِّروه، ويعرفوا نجاح ما قد ابتكروه، ويعرفوا خبرات عالية، لديهم فرصة لماذا؟ لأن الميدان العملي هو المصدر الحقيقي والصحيح لإعطاء المعارف، أليس هؤلاء يخافون من الحرب؟ بينما الآخرون يقولون عندهم فيما يتعلق بالحرب أنها فرصة للحصول على كثير من الخبرات في المجال العسكري، وفي مجال الآليات والأسلحة في الحرب.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(البقرة:١٩٠) من نعمة الله على الناس ألاّ يكونوا في حالة فراغ يحول بينهم وبين المعرفة، يكونوا منشغلين بقضايا هامشية، الناس يُقَدَّم لهم قضية كبيرة، قضية كبيرة في عنوانها: القتال في سبيل الله، الجهاد في سبيل الله، العمل لإعلاء كلمة الله، هذه القضية مهمة جداً في مجال المعرفة، في مجال معرفة الله بالذات، هامة جداً في مجال المعرفة في كثير من الأشياء التي يجب أن يعملها الناس فتُبنى الحياة بكلها، لا يعيش في حالة فراغ، إذا عاش الإنسان في حالة فراغ يكون في الأخير بهذا الشكل: أسئلة هامشية، اهتمام بقضايا لا تمثل شيئا. إذا حمل الناس اهتماماً كبيراً وقضية كبيرة، استغرقت ذهنياتهم واستغرقت اهتمامهم، فترفّعوا عن هذه الأشياء التي لا تفيد في نفس الوقت، الأشياء الهامشية في الأسئلة أو في الاهتمامات.

عندما يكون لدى الناس اهتمام فيما يتعلق بالعمل في سبيل الله ستجد أثر هذا عليهم هم فيما يتعلق بقضاياهم الخاصة، فإذا حصل نزاع فيما بينهم يكونون قريبين إلى أن يحلّوا مشكلتهم بسرعة. فإذا عاش الناس في حالة

فراغ ليس لديهم أيُّ اهتمام سيظلون يتشاجرون فيما بينهم عشر سنين وهم متشاجرون (طالع ونازل) أو كل يوم أو كل أسبوع إلى المحكمة سنين ومستعد أن يشاجر عمره، قضية قد تكون في الأخير لا تساوي ما يضيعه من وقت - هذا الذي يشاجر عليه - لماذا؟ لأنه فارغ. فعندما يكون الناس فارغين تجد أنه في الواقع يحصل فيما بينهم كثير من الخلاف والشقاق، والكثير الكثير، وإذا بدتْ مشكلة ظلَّتْ مشكلة سنين، وتترك آثارها السيئة في وسطهم، تُمَزّق صفهم، تفسد ذات بينهم.

إذا كان هناك اهتمام بقضية كبيرة تُبعد الناس عن هذه الأشياء التي تفسد ذات البين، وفي نفس الوقت إذا ما طرأت مشكلة يكونون قريبين لحلها؛ لأنهم مشغولون، لا يريد أن تشغلهم هذه القضية، يقنع منك بيمين فقط، أو من أول جلسة أنت قدَّمتَ ما عندك، وهو قدَّم ما عنده، وحكم بينكم الحاكم ومع السلامة، وتمشون سوياً في القضية الهامة التي هي مسؤولية عليكم جميعاً.

في نفس الوقت في حالة الفراغ تكون حالة يترسَّخ فيها الجهل في الناس، مواهبهم تُسخّر كلها للأشياء الهامشية، ذكي وعنده بصيرة وعنده منطق، لكن مُسَخَّر بكله، وضيّع كل هذه القدرات على قطعة بسيطة من الأرض أو على "مشرب"[1] ضيّع كل ذكائه وموهبته وقدرته البيانية، أليست هذه تُعتبَر خسارة؟! لاحِظ الآية هنا ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(البقرة:١٩٠) أنت متجه للقتال في سبيل الله، وتحمل هذه القضية الكبيرة، كبيرة في الذهنية؛ لأن الإنسان بحاجة إلى قضية تملأ ذهنيته، هي قضية إيجابية كبيرة لها أثرها الكبير فيما يتعلق بحياته في الدنيا وفي الآخرة، يحصل على رضوان الله، يحصل على الجنة التي هي أرقى نعيم، هو بحاجة إلى قضية من هذا النوع، وهي في واقعها العملي - بتأييد الله التسهيلات التي تأتي من جهة الله، بالاستعانة بالله - تمشي.

هذه من الأشياء الدقيقة جداً في مجال هدى الله تبدو قضية تملأ ذهنيتك، أنت بحاجة إلى هذا، والأمة بحاجة إلى هذا، وتصبح نفوسكم كبيرة، أصحاب اهتمامات كبيرة، وتصبح طاقاتكم كلها فاعلة لها أثرها، ميدان كبير يُشغّلونها فيه، ووراءها إيجابيات كبيرة، وراءها خير لهم في الدنيا وفي الآخرة، كما سيأتي بعد في موضوع الجهاد: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(التوبة:٤١) ولم يتركها في المجال العملي كبيرة كما هي في الواقع الذهني؛ لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾(الحج:٤٠) ﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾(محمد:٣٥) يحصل تأييد، فهذه لها علاقة بموضوع أن ترفع الإنسان عن حالة التساؤلات والتركيز على قضايا يستحسنها هي هامشية أن يأتي البيت من فوقه لا يأتيه من الباب، يُنقل إلى قضايا تجعل اهتمامه كبيراً، وتجعله بعيداً عن هذه الحالات الهامشية والقضايا الهامشية في تساؤلاتهم أو في سلوكياتهم.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(البقرة:١٩٠) كثيرٌ مما تعنيه كلمة (اعتداء) هنا: فيما يتعلق بالأشهر الحرم؛ ولذا جاء بعدها الحديث عن الأشهر الحرم. كان معروفاً عند العرب مسألة أنه اعتدى: أي ماذا؟ انتهك حرمة الشهر الحرام.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هذه قضية هامة، وقضية مؤكّد عليها في القرآن الكريم بشكل كبير: أن يكون الناس كلما دخلوا في صراع أن يدخلوا فيه على أساس هدي الله، وأن يكون في سبيله، على الطريق التي رسمها، ومن أجله وله.

هذه القضية هامة حتى فيما يتعلق بالدفاع عن الأوطان، تحدثنا سابقاً عنها: أنها قضية يجب أن تكون هي القضية الرئيسية عندك حتى وأنت تدافع عن بيتك، أن القضية الأساسية أن يكون الناس مقاتلين في سبيل الله، إذا كانوا في سبيل الله يكون تحرير أوطانهم قضية ثانوية، أي: تتحقق تلقائياً، صيانة أعراضهم، صيانة ممتلكاتهم تتحقق تلقائياً، لكن متى ما عكسوا المسألة: يُقاتل (من أجل الوطن) بهذه العبارة وهو المنطق الذي استمر عليه العرب فترة طويلة، ترسيخ الوطنية والقومية، وهذه العناوين. في الأخير خسروا فعلاً، لم تحقق لهم شيئاً، ولا استطاعوا أن يحققوا شيئاً في مواجهة العدو باسم أنه: (لن نسمح بأن يَحتل) أو (سنعمل على أن نحرر كل شبر في الأرض المحتلة) وتربية للجيش تربية وطنية بحتة (من أجل الوطن، من أجل الوطن) هذه المسألة بدتْ بأنها ليس لها قيمة في الواقع، وجدنا ممن يهتفون بهذه هم ممن يبيعون الأوطان فعلاً.

الناس الذين يتجهون في سبيل الله ومن أجل الله هم الناس الذين تُعتبَر الأوطان غالية لديهم، وتُعتبَر الأعراض عزيزة لديهم، وتُعتبَر الممتلكات هامة لديهم، فعندما ينطلقون في سبيل الله لا يعني أنهم لا يبالون

---

(١) الْمَشْرَب: هو الذي يَنْحَدِرُ مَاءُ المَطَرِ مِنْ خِلالِه إِلَى المَزْرَعَة وَيَسْقِيهَا.

بالوطن، أو أنها على حساب الوطن أو حساب الأعراض أو حساب الناس، أبداً، هذا توجيه إلهيّ؛ لأنَّ الله جعل دينه للناس، فعندما يقاتلون في سبيله، أنت في نفس الوقت تكون مستعداً أن تضحّي بنفسك ومالك، فهل يمكن أن نصل إلى هذه الحالة من أجل التربة ومن أجل الآخرين؟! خاصة عندما يصل الناس في العلاقة فيما بينهم إلى هذه الدرجة التي الناس عليها.

انظرْ إلى الناس وهم في الأسواق، انظرْ إلى الناس وهم في حركتهم، هل تلمس احتراماً متبادلاً بينهم؟ هل تلمس بأن هذا فعلاً ممكن أن يصل إلى درجة أن يضحي بنفسه وماله من أجل ذاك؟ أبداً. فسدت العلاقات فيما بين الناس، وأصبحوا في حالة لم يعد أحد يهتم بالآخر ولا يحترم الآخر ولا يبالي بالآخر، فغير متوقع أن يأتي أحد من الناس يضحي وهو يحمل هذا العنوان (وطن) فقط بمعنى أنه ماذا؟ أنه يضحي من أجل التربة، أليس البعض يحلف يميناً فاجرة من أجل التربة حتى لا يترك صاحبه يأخذها؟ هل سيضحي بدمه من أجل تربة الآخر؟ لا ترتقي هذه القضية بالناس - أبداً - إلى درجة أن يضحوا بأنفسهم وأموالهم تضحية حقيقية، لا تصل إلى هذه الدرجة.

لكن متى ما انطلقوا في سبيل الله هذه هي القضية الهامة، تعتبرها تستحق أن تضحي بمالك وتضحي بنفسك من أجل الله، وعلى طريقه - في نفس الوقت - على طريقه التي رسمها في مجال الصراع مع الآخر، وهي الطريقة الوحيدة التي يكون الله مع الناس إذا ساروا عليها، والمقصد الوحيد الذي يكون الله مع الناس إذا توجهوا إليه أن يكون من أجل الله ولله. فهؤلاء سيكونون هم من يحررون الأوطان ومن يصونون الأعراض ويصونون الممتلكات هم، أمَّا الآخرون فيقول بعضهم وهو في المعسكرات: (وطنية، وطنية، وطنية) وقد صار في موقع قيادة يأتي الأمريكيون يشترونه شراء، وفي الأخير يبيع الأمة و(الوطن) هذا يحصل.

وجَّه المسلمين ألاّ يكون منهم اعتداء، أن يراعوا حرمات الشهر الحرام. لكن لم تكن حرمة الشهر الحرام بالشكل الذي يُفسح للآخر أن يعتدي عليك وأنت تسكت، لا ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾(البقرة:١٩٤) هذه تُعتبَر دليلاً على أن الله سبحانه وتعالى في تشريعه لا يجعل شيئاً يحول دون القيام بالشيء الآخر، لا يحصل تصادم يجعل هذا شهراً حراماً و(حرام) والطرف الآخر الذي لا يحترم الحرمات ولا يقدِّر الحرمات ينتهكها وأنت تكون ملزماً بألاّ ترد، أليست تُعتبَر فرصة له لأن يضربك وينهيك وينهي دينك؟ لا ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ أعطاك فسحة بأن تواجهه وأن تقاتله.

﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾(البقرة:١٩١) حتى وإن كان في الشهر الحرام، عندما يكونون هم المعتدين، هم المقاتلين، ويريدون أن يستغلوها فرصة بأنهم سينتهكون الحرمات، ويرون أنكم أناس ملتزمون، أحياناً العدو يعرف بأن ذلك الطرف ملتزم ومتديِّن ولا يمكن أن يحصل من جانبه ردة فعل لن يواجهه!

كان المشركون في جوار بيت الله الحرام يعذبون المسلمين ليفتنوهم عن دينهم، يعذبونه ليحملوه على أن يكفر بدين الله، فهي أشد من القتل. فعندما يقولون: لماذا أنتم تنتهكون الحرمات؟ لأنه يحصل هكذا، لماذا؟ ألست متديناً وتنتهك الحرمة؟ أنت انتهكت ما هو أشد من القتل، انتهكتَ حرمة المسجد الحرام والمشاعر المقدسة بما هو أشد من القتل.

﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة:١٩١) هذه تؤكد أن حرمة الأشهر الحرم لا تزال باقية، ليس صحيحاً عندما يقول لك أحد من الناس: (منسوخة، منسوخة) أبداً، قضية أساسية وكأنها في مسيرة الدِّين بكلها؛ لهذا حكى الله في آية أخرى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾(التوبة:٣٦) ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ أربعة أشهر حرم هي: محرم، ورجب، وذو القعدة، وذو الحجة؛ لأن هذه جعلها الله للناس بحيث لا تخرب الأرض نفسها ويَفنى الناس تماماً فيما بينهم حروباً باستمرار باستمرار، ليس هناك ولا أيُّ توقف. أربعة أشهر يجب أن يتوقف الناس فيها، هذه الأربعة مرتبطة أيضاً فيما يتعلق بالبيت الحرام وعملية حج الناس وعودتهم من الحج. هي قضية معروفة عند البشر من قبل الإسلام.

لكن يأتي من بعد الإسلام أناس يقولون (منسوخة) بعض الفقهاء أو المفسرين يقول لك: (إن رسول الله قاتل فيها) عندما يقاتل هو على هذا الأساس لأنهم قاتلوه، لأنهم قاتلوه سيقاتلهم ولو في الشهر الحرام، ولو عند المسجد الحرام وهم ﴿يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ لاحِظ هنا ﴿فِيهِ﴾ حُرمة المسجد الحرام كبيرة جداً، وحُرمة الشهر الحرام عظيمة، لكن إذا كان الطرف الآخر يريد أن يستغلها، لا، قاتلْه أنت وهو الذي يتحمل المسؤولية، هو الذي انتهك

حُرمة الشهر الحرام والمكان الحرام، عندما قال هناك: ﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ عندما تكونون حُجاجاً وأتوا ليقاتلوكم فيه، هنا تردّ.

﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِين * فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾(البقرة:١٩١-١٩٣) فمن حيث المبدأ يجب أن تكونوا فاهمين أن تُعِدّوا أنفسكم لقتالهم ﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ فيتمادوا في طريقتهم السابقة في أن يفتنوا الناس عن دين الله ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ هذه هي عامة، ليست مرتبطة بمكان محدد، هي توجيه للمسلمين بشكل عام أن يقاتلوا الآخرين؛ لأن الآخرين عادة يُعِدّون أنفسهم ويتحركون لقتال المسلمين.

﴿حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ لاحِظ هنا كيف يؤكد فيما يتعلق بالغاية، فيما يتعلق بتوجهك وأنت تقاتل أنه من أجل ألاّ يتمكن هؤلاء من صدِّ الناس عن دين الله وفتنتِهم، وفي نفس الوقت لـ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ نفس العبارة السابقة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تشبهها ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(البقرة:١٩٣) فلا يحصل منكم اعتداء إلاّ على من ظلموا بأن قاتلوا في الشهر الحرام أو قاتلوكم عند المسجد الحرام فاقتلوهم.

﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(البقرة:١٩٤) كأن هذه لا تعني بأنه مرتبط بشهر مُعيَّن، فإذا قاتلوك في رجب وأنت لم تتمكن أن تقاتل في رجب، وتتمكن أن تقاتل في ذي القعدة أو تقاتل في شهر من الأشهر الحرم فـ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ وهذا معناها ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ اتقوا الله لا يحصل من جانبكم اعتداء، انتهاك من جانبكم أنتم ابتداءً، وليس هناك ما يوجب له فتنتهكون حُرمة الشهر الحرام، وحُرمة المسجد الحرام، يجب أن تتقوا الله، وتكونوا على حالة تقوى وحذر من الآخر من أن يستغل فرصة كهذه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(البقرة:١٩٥) هذا الكلام السابق أليس حول الجهاد وحول القتال؟ شيء طبيعي بأن القتال يحتاج إلى تمويل، التمويل من أين يأتي؟ هل وُجِّه المسلمون إلى أن يبحثوا عن أطراف أخرى: إلى أن يتجهوا إلى الفرس، أو إلى الروم، أو إلى أيِّ دولة أخرى تساندهم؟ لا، بل ينطلق المقاتلون أنفسهم، المجتمع المسلم هو يموِّل نفسه، وهذه القضية هامة جداً، لا يقوم الدِّين إلاّ بها، لا يقوم الدِّين إلاّ على هذا الأساس: أن يكون هناك إنفاق، وأن يكون إنفاقاً من داخل نفوس الذين يتحركون في القضية، أي: من داخل المجتمع المسلم نفسه المعنيّ أو الموجَّه إليه هذه المسؤولية بأن يقاتل في سبيل الله؛ لأنه يحصل استقلالية للأمة، يمكنها أن تنهض بدين الله ولا تكونَ مدينة لأيِّ طرف آخر نهائياً؛ لأن أيَّ طرف آخر لا يُقدِّم شيئاً إلاّ بثمنه، ولها أثرها الكبير من الناحية النفسية بالنسبة للمجتمع المسلم وللأمة عندما تُبنى على هذا الأساس تصبح أمة واثقة بنفسها، واثقة بدينها، واثقة بربها، واثقة بالمنهج الذي تسير عليه، هنا تستطيع هي أن تقوم بدين الله، وتستطيع أن تواجه أعداءها.

لكن إذا كانت القضية أنهم يبحثون عن مساعدات أخرى من خارج - لأنه عادة في مراحل الصراع قد يكون طرف من الأطراف في مصلحته أن يساعدك؛ لأن له موقفاً من الطرف الذي أنت تقاتله - لكن هنا لها أثر سلبي كبير فيما يتعلق بنفسيات المسلمين المقاتلين والمجتمع بكله سيعتبرون الانتصارات ومواقفهم القوية كلها بسبب الآخرين، والقضية هنا تقوم على أساس أنك أنت تكون متوجهاً إلى الله دائماً دائماً؛ ولهذا عندما تُنفق أنت تُنفق في سبيل الله، من أجل الله، وتقاتل من أجل الله، وتتلمّس النصر الذي هو من عند الله، فتكون مرتبطاً بالله، لا تجعل سبب النصر وفضيلة الانتصارات بسبب الطرف الآخر الذي هو دولة أخرى أو جهة أخرى!

هنا لو يحصل موقف آخر سوف تتلفّت من الذي يمكن أن يساعدك ولو على حساب أن تُقدِّم تنازلات من دينك، تأتي حالة أنت لا تجد فيها طرفاً يمكن أن يساعدك فتنهزم من أول يوم، مثلما حصل للعرب الآن: تلفّتوا الآن بحثوا عن روسيا، فرنسا، الصين، لم يعد هناك (الاتحاد السوفيتي) سابقاً استسلموا من أول يوم، ألم يستسلموا من أول يوم؟

هذه عملية تربوية هامة جداً جداً: أن دين الله بنى الأمة بناءً باستقلالية، تكون معتمدة على الله فهي تنفق في سبيل الله، معتمدة على قدراتها، تطوّر قدراتها، انتصاراتها تحسَب لها وتراها أنها من الله وليس من الطرف الآخر الذي ساندها؛ أمة على هذا النحو تستطيع باستمرار أن تكون متحركة، ولا أحد يستطيع أن يقهرها، وفي نفس الوقت لا تكون مدينة لأيِّ طرف، من إيجابيات هذه التربية أنها لا تصبح مدينة لطرف آخر؛ لأن الدِّين هو

مهمة عالمية، فهل هو مقبول من الناحية الأخلاقية أن تأخذ من الفرس مساعدات لأنك تقاتل الروم؟ وأنت تعرف أن هذا الدِّين يجب أن يَدين به الفرس، ويجب أن تدعوهم إليه وتقاتلهم متى ما اتجهوا ليصدّوا عنه؟ سيكون معناه في الأخير: بأن هذا الدِّين يمكن أن يخادع: تقول لطرف من الأطراف أن يساعدك ويعينك حتى تنتهي وتفرغ من قتال الطرف الآخر، وفي الأخير ترجع عليه وقد أصبحت قوياً، هذه ليست من أخلاق الدِّين، وليست قضية أخلاقية، ولا من ناحية إنسانية.

فلأجل لا تكون الأمة مدينة لأيِّ طرف آخر يجب أن يصل هذا الدِّين إليه، ستصل إليه، أن يرى الآخر: أن الأمة هذه هي نفسها تستطيع أن تواجه، مواقفها قوية، فعندما تصل إليه أنت - فلن ينظر إذا لم يكن لديك طرف آخر فيقيّم الوضعية فإذا لم يكن هناك طرف آخر يمكن أن يساندك فسيكون متجرئاً عليك - يعرف أنها أمة معتمدة على نفسها، وهي التي انتصرت على ذلك الطرف، وانتصرت على الطرف الآخر. فبالتأكيد هذا الطرف الذي تصل إليه أنت بالدِّين سيحاول ألاّ يتجرأ عليك في نفس الوقت، ولا ينظر للأمة نظرة أنها في وضعية مستضعفة لأنه ليس هناك طرف آخر يساندها.

فهي حالة مهمة جداً جداً؛ ولهذا قلنا: إنه يجب أن يكون الناس في عملهم هذا - مهما كان عملاً بسيطاً - يجب ألاّ نتجاوز حدود تربية القرآن الكريم، حدود هدى الله لنا بأن نتحرك على أساسه. لا يوجد فكرة عندنا نحن بأن نحاول أن نحصل على مساعدات من أيِّ طرف على الإطلاق، لا طرف داخلي ولا خارجي، ولأن الناس عندما يتجهون إلى أن ينفقوا هم في سبيل الله، فإن الله يجعل فيها بركة، وفي نفس الوقت ترتفع معنوياتهم، وفي نفس الوقت ينشَدُّون إلى الله، وتعظُم علاقتهم بالله؛ لأن الجهاد نفسه هو يُعتبَر من أهم الأشياء في مقام معرفة الله؛ لأن المجاهدين يكونون في حالة التجاء إلى الله، هم بحاجة إلى نصر، بحاجة إلى تأييد، بحاجة إلى عون، بحاجة إلى كذا، هم دائمو الالتجاء إلى الله، وهم يتلمسون في الميدان السند الإلهي والدعم الإلهي والتأييد الإلهي، فيعيشون في حالة قرب من الله. هذه الحالة تُنسَف تماماً إذا كانوا ملتجئين إلى أطراف أخرى، إلى دولة أخرى، أو إلى أمة أخرى.

﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(البقرة:١٩٥) لأهمية الإنفاق في سبيل الله لتمويل العمل في مجال إعلاء كلمة الله، مواجهة أعداء الله، إذا لم ينطلق الناس فيه فمعناه أنهم في الأخير سيُلقون بأيديهم إلى التهلكة، تلك الأيدي التي غُلّت (لا تُنفِق) هي كأنها ترمي بنفسها إلى التهلكة، إمَّا أن تترك يدك تنفق في سبيل الله وإلاّ فهذه اليد نفسها هي التي ستهلكك؛ ولهذا قال: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ إمَّا أن تلقي أنت أموالاً في سبيل الله أو ستُلقي أنت أو هذه الأمة ستلقي بيدها إلى التهلكة، تهلك.

فإذا لم تنفق فستضرَب حركتها، تَضعف مواجهتها، يتغلب عليها الأعداء فيهلكونها قبل الهلكة التي تأتي من جهة الله سبحانه وتعالى، أشياء كثيرة في الدنيا، والهلكة في الآخرة، هل يمكن لأحد أن يَعتبِر آيات هامة كهذه؟ آيات تُعتبَر أساسية في التوجيه، وتتناول مواضيع هامة جداً، الجهاد هام جداً، والجهاد يحتاج إلى تمويل عندما يقول أحد (منسوخة) هذا لا يمكن على الإطلاق وغير مقبول، هذه رؤية قاصرة جداً أن يقول (منسوخة).

الإنفاق في سبيل الله جعله الله سبحانه وتعالى بالشكل الذي يمكن للناس أن يعملوه في كل الظروف؛ لأن هناك أيضاً أشياء كثيرة يعملها الله، لا نقلْ: (نحن ليس لدينا أشياء كثيرة حتى ننفق، ليس رأس مال كل واحد منا مليون دولار حتى ينفق) ينفقْ كل واحد بقدر استطاعته، وعملية مستمرة. ثم إنه يوجّه إلى قضية هي هامة جداً: بأن تكون موجهة إلى الناس جميعاً، ليست مسؤولية طرف مُعيَّن، بل إلى الناس جميعاً، عندما ينفق كل إنسان بقدر طاقته تجتمع مبالغ كبيرة ويبارك الباري فيها بزيادة أكثر مما يمكن أن تعملها في واقعها.

لو أن تمويل الجهاد قضية تعتمد على طرف مُعيَّن تُعتبَر منهكة للأمة نفسها. ثم إن هذه القضية نفسها هي أيضاً تجعل عند الإنسان اهتماماً مستمراً؛ ليرى نفسه مسؤولاً ومعنيّاً بالقضايا. الآن أليس الكثير من الشعوب يظنون أن المسؤولية على الجيش فقط؟ هذه الذهنية مسيطرة أن هناك (جيشاً) بل البعض يقول: (يوجَد جيش، وتوجَد دولة) هذه القضية تجعل الآخرين مجرَّدين عن الشعور بالمسؤولية وعن الاهتمام. الإسلام بنى الإنسان على أساس أن يكون صاحب اهتمام بالقضايا الكبيرة، ومشاركاً فيها، مشاركاً بيده، مشاركاً بنفسه، مشاركاً بماله، يكون في نفس الوقت شريكاً في النتائج، يلمس الناس، ترتفع معنوياتهم عندما يحققون انتصارات.

فإذا كانت جهة معنيَّة ومُعيَّنة وحدها هي فقط، تذبل الاهتمامات عند الآخرين، وينسون حتى تصبح لديهم

حالة: لم يعد هناك شعور بمسؤولية؛ ويكونون هم مُعرَّضين للهزيمة، فإذا هُزمت تلك الجهة المعينة هُزِمت البلاد بكلها.

لهذا يأتي الخطاب موجَّهاً للمسلمين، أليس الخطاب موجَّهاً للمسلمين؟ ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾(البقرة:١٩٠) ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾(البقرة:١٩٥) ﴿كُونوا أَنصَارَ اللَّهِ﴾(الصف:١٤) وهذه القضية هامة من الناحية التربوية بالنسبة للأمة، وفيما يتعلق بواقع الأمة في بنائها النفسي، بهذه الطريقة يصبح الإنسان المؤمن صاحب نفس كبيرة، صاحب اهتمامات كبيرة، يرى نفسه في الصراع الكبير مع الأعداء مهما كان كبيراً لا تكون نفسيته معرَّضة للتضاؤل والتلاشي، فالإنسان الذي لا يُعطَى قضايا كبيرة تكون نفسيته مُعرَّضة لـ(ماذا)؟ للاضمحلال والتلاشي، فيصبح لا يمثل أيَّ رقم في الحياة، لا يمثل أيَّ دور في الحياة، لكن هنا قضايا تجعل لك دوراً في الحياة، لك فاعلية في الحياة، ونفسك تكبر، ومعنوياتك تكبر، واهتماماتك تكبر.

لاحِظ هنا في قضية الحج وقضية البيت الحرام والمشاعر كيف هي مفرَّقة داخل آيات الجهاد، أليست موجودة من أول ما ذكر البيت ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾(البقرة:١٢٧)؟ ثم ذكر ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾(البقرة:١٥٨) ثم ذكر الحج هنا: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾(البقرة:١٩٦) لأن هذه لها علاقة ببناء الأمة، لها علاقة بمواقفها من أعدائها، لها أثرها الكبير في تعزيز وحدة الأمة، تمثل ملتقى للمؤمنين جميعاً، تُعتبَر منطلقاً للتوعية فيما بينهم ووصول أيِّ توجيهات من ذلك المكان إلى أيِّ بقعة في بقاع الدنيا التي فيها مسلمين.

ثم أمر بتمام الحج والعمرة، متى ما اتجهتَ إلى العمرة وابتدأتَ في أعمال العمرة فيجب أن تُتِمَّها، متى ما بدأتَ في أعمال الحج التي تبدأ بالإحرام فيجب أن تُتِمَّه. إذا حصل إحصار منعك من أن تُتم الحج فهناك الهدي. نفس الشيء فيما يتعلق بأهمية الحج: أن له أهمية كبيرة، الأعداء يركّزون عليه بشكل كبير كما قلنا أكثر من مرة، كما أذكر أن الإمام الخميني قال قبل فترة: (إن أمريكا وإسرائيل يخططون للسيطرة على الحج). هي قضية معروفة الآن تصنع المؤامرات الرهيبة، ومحاولة تَمَحُّل الذرائع - كما يسمونها - فيما يتعلق بالسعودية، وفيما يتعلق بدول المنطقة وشعوب المنطقة كلها.

يُبيِّن تشريعات الحج بطريقة قريبة ليس فيها (فنقلة)[1] كثيرة؛ لأن الكثير من مسائل الحج من الأشياء التي اختلفت أو تعددت فيها الأقوال، حتى أصبح الحج دقيقاً جداً وخطيراً جداً، أدنى شيء ولزمك دم[2] وهكذا!

ذكر تفاصيل الحج، وبعد قال: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾(البقرة:١٩٧) وهناك قال بعد: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾(البقرة:٢٠٣) التأكيد على أن للحج أشهراً معلومات قضية هامة يجب أن يتشبَّث بها المسلمون، لا يأتي العدو في يوم من الأيام - مع استجابة الأنظمة الحاكمة للمسلمين - فيصبح عنده رؤى: أنه يوزع الحج على أشهر، اليمنيون يحجون في شهر كذا، والإيرانيون في شهر كذا، أو الأفارقة في شهر كذا، والآسيويون في شهر كذا، ويوزعونهم ويقولون: (المقصود واحد، إذا المقصود واحد أن يطوف ويذهب يرمي، فهي هذه موجودة) لا ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ لا يصح إلاّ فيها؛ لأنه لو يُجَزأ الحج بالنسبة لوقته معناه: تبطل الغاية العظيمة من وراء تشريعه أنه يمثل ملتقىً واحداً للمسلمين في وقت واحد وأيام معدودة مُعيَّنة، الأيام المعدودات: هي أيام منى (أيام التشريق).

لأهمية الحج فيما يتعلق بالناس يُحظَر عليهم أشياء كثيرة مما قد تثير شقاقاً فيما بينهم: الكلام السيئ، الكلام الذي يُعتبَر ﴿رَفَثَ﴾ الرفث بأنواعه، الرفث سواءً بكلام سيئ، أو بالتلفّت للنساء الحاجّات، هذا كله يدخل ضمن الرفث ﴿وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾(البقرة:١٩٧) ﴿وَلاَ جِدَالَ﴾ ممنوع الجدال في الحج، إذا كان هناك حوار متبادل، طرح قضايا مُعيَّنة حول توجيه للناس، تذكيرهم بما يجب أن يعملوه، تذكيرهم بخطورة العدو الذي يتوجه ضدهم وأشياء من هذه، تذكير للناس بالله، ذكر لله. يتجنبوا الأشياء التي تثير الشقاق فيما بينهم: الجدال، الكلام البذيئ، سواءً الحُجاج من بلد واحد وهم في سيارة واحدة أو مع أيِّ حُجَّاج آخرين، مهما كانوا من طوائف أخرى، لا تدخل معهم في جدال، حاول ألاّ تدخل في جدال نهائياً، لو حاول هو فذكِّره بأن هذا المكان ليس مقام جدال.

شخص آخر جاءت منه كلمة بذيئة فذكّره وقل له: (لو أننا في البلاد يمكن أن أجيب عليك، لكن هذا المقام

---

(١) الفَنْقَلَة: اختصار في التعبير مأخوذ من قولهم: (فَإِنْ قِيلَ).

(٢) أَدْنى شيء: أَقَلُّ شيء.

ليس مقام كذا، استحِ من الله، اتقِ الله) لتبقى الأجواء فيما بين الحُجاج - من أيِّ بلدان كانوا وحتى من أيِّ طوائف كانوا - تبقى أجواء صالحة للتفاهم فيما بينهم، وتذكير بعضهم بعض بالقضايا التي يجب أن يهتموا بها جميعاً.

يؤكِّد على موضوعِ ذكْرِ الله في كل مناسك الحج، في كل المواقع، بالنسبة للمناسك، في عرفات، في مزدلفة، عند البيت الحرام، في نفس الأيام، ذَكَر الذِّكْر ﴿عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾(البقرة:١٩٨) إشارة إلى الأماكن أن تذكر الله بالنسبة للأماكن، وذِكْر بالنسبة للأيام ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ أي: تكون حريصاً على أن تُكْثر من ذكر الله في تلك الأمكنة، وفي تلك الأيام.

يَذكُر بالنسبة لطلبات الناس أو نفسيات لدى البعض: ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾(البقرة:٢٠٠) مشغول بطلبات في الدنيا وما له في الآخرة من نصيب.

﴿وَمِنْهُم مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(البقرة:٢٠١، ٢٠٢) هذه القضية هامة: تذكير للإنسان بأن تكون نظرته شاملة لهذه الحياة الدنيا وللحياة الأخرى، أن تكون كلها محط اهتمام لديك كما كانت هي، أي: الله جعل دينه بهذا الشكل: حسنة للدنيا والآخرة، جعل دينه للدنيا والآخرة.

أن يكون الإنسان وهو يدعو الله سبحانه وتعالى يكون على هذا النحو، أي: ينظر لهذه الحياة والحياة الآخرة كلها. لا ينظرْ لهذه الحياة فقط، أو ينظر نظرة قاصرة لهذه الحياة وليس في ذهنيته الحياة الأخرى! أحياناً متى ما ساء فهم هذه الحياة يؤثر جداً على الحياة الأخرى، سوء الفهم لهذه الحياة يؤثر فعلاً على ما يمكن أن يجعلك ناجياً في الحياة الأخرى، لاحِظ كمثال في هذه: عندما تكون نظرتك لهذه الحياة بأن (الله خلق الدنيا على هذا النحو ولا يصلح فيها حق) فيحاول الإنسان - فقط - كيف يُقدِّم لنفسه مبررات كي لا يعمل في سبيله (وأهل الحق لا ينتصرون على أهل الباطل، وأهل الباطل يكونون دائماً منتصرين، وهم كذا، وهم كذا) أليست هذه نظرة مغلوطة لهذه الحياة؟ تجعلك في الأخير لا تتحرك في سبيل الله. ألست هنا أثرتَ على حياتك الأخرى؟

سوء الفهم لواقع هذه الحياة، لواقع هذه الأرض، ولسنن هذه الحياة، يؤثر بالتأكيد على مستقبلك في الحياة الأخرى، لماذا الكثير من الناس لا يتحركون في سبيل الله؟ بسبب ماذا؟ نظرة مغلوطة إلى هذه الحياة، وكيف جعلها الله عليه (لا يوجد فيها مكان للحق، وهذه النفوس - نفوس الناس التي خلقها الله - ليس فيها مكان للحق، إذاً ما دام ليس هناك مكان للحق أقعد في بيتي فقط)! فقعد عن العمل في سبيل الله الذي ستتوقف عليه نجاته في الآخرة. فتعطي الإنسان توجيهاً بأن يكون فاهماً لهذه الحياة الدنيا، وفاهماً للآخرة، ومهتماً بهذه الحياة الدنيا والحياة الآخرة؛ لأنها حياة واحدة في الواقع، ليس الموت إلاّ عبارة عن فاصل مثل ما يأتي فاصل في النشرة، يأتي فاصل وبعده يكمل النشرة؟ هيَ هيَ، هيَ حياة واحدة، وأنت ستكون في الآخرة بنفس المشاعر، تبعث أنت أنت، لا تفهم بأنك قد صرت بشكل آخر أو كأنه (حُلُم).

﴿وَمِنْهُم مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً﴾ لم يقل - على أساس أنه يُقدِّم النموذج الصحيح -: (ومنهم من يقول: ربنا آتنا في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار) مثل ما يأتي التوجيه من عند الكثير من الناس يقول: (الدنيا، الدنيا) يقول: (لا تهتم بالدنيا، اهتم بالآخرة) ويُقدِّم لك الآخرة فقط، الآخرة مرتبطة بهذه الدنيا، فتكون نظرة صحيحة لهذه الحياة الدنيا ونظرة صحيحة للآخرة، وتطلب من الله الحسنة في هذه الدنيا وفي الآخرة.

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ لأنّ الله قد يؤتيهم نصيباً مما كسبوا في هذه الدنيا وفي الآخرة، عملك يجعل منه هنا وهناك، نصيب هنا في الحياة الدنيا ونصيب في الآخرة؛ لأنه أين النصيب الباقي؟ عندما يقول: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ هل يمكن أن تعتبره ﴿نَصِيبٌ﴾ أي: في الآخرة؟ فأين النصيب الثاني إذا حصل له نصيبٌ واحدٌ فقط؟ مازال هناك نصيب (ثاني) النصيب معناه: قسط من الشيء ﴿نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ ما كسبوه يستفيدون منه في الدنيا وفي الآخرة.

﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ وحتى في الدنيا يحصل حساب، محاسبة - ولو لم يكن كما في الآخرة حساباً شخصياً أو حساباً جماعياً بذلك الشكل - حساب واقعي، أعمال الناس يحاسَبون عليها، يذوقون وبال أمرهم كما قال في آية أخرى: ﴿وَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾(الطلاق:٨) ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾(البقرة:٢٠٢) ﴿فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾(الطلاق:٨، ٩) هنا في الدنيا قبل الآخرة؛ ليفهم الناس بأن ما كسبوه يحصل نصيب منه هنا، أعمال سيئة يحصل من عواقبها السيئة هنا قبل الآخرة.

هُدى الله سبحانه وتعالى يتناول التقييم للناس، التشخيص للناس؛ لأن هذه قضية هامة: قضية أن يُعَرِّفك على الناس كيف هم، بدأ في هاتين الآيتين أن هناك من الناس من يقول: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا﴾ وهناك فئة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً﴾(البقرة:٢٠١) ألست أمام صنفين من الناس؟ يقول أيضاً: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾(البقرة:٢٠٤) في نفس الوقت من ألَدِّ الأعداء، ومن ألَدِّ الناس خصومة ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(البقرة:٢٠٥).

نحن الآن أمام أناس من هذه النوعية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيَا﴾ أليسوا هم يقولون لنا بأنهم جاؤوا ليحرروا الناس، ويعملوا المناهج التعليمية بشكل أفضل، ويعملوا على ترقية الشعوب، ويعملوا...؟ عبارات برَّاقة، كلامه كلامٌ برَّاق بهذا الشكل، لكن في المجال العملي: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾.

وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ بشكل عام، لتكون عارفاً أنت أن الناس هم أنواع، قد يكون منهم – سواءً في الداخل أو في الخارج – مَنْ هم على هذا النحو، لا يكن عندك النظرة التي حصلت لآدم، ظنَّ أنه غير ممكن، كيف يمكن أن مخلوقاً من مخلوقات الله يحلف يميناً فاجرة، ويقسم بالله: إنه لمن الناصحين؟ أليس كلاماً أعجبه؟ يعني ماذا؟ يعني يستبعد أن يأتي الشخص ليقسم بالله؛ لأن الله عظيم في نفس آدم. هذه أول عملية خداع مِن ﴿مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ يقسم بالله إنه من الناصحين، لكن وعمله فساد.

تحصل هذه من جهة الأعداء، وتحصل أيضاً في الداخل، أي: أن الإنسان المؤمن الذي يهتدي بهدى الله يجب أن يكون واعياً، وأن يكون ذكياً وفاهماً، لا ينخدع بشعارات، لا ينخدع بكلام زائف، لا ينخدع بكلام مزخرف، يجب أن يعرف: هل هذه الجهة مظنة أن يكون واقعها كما تقول؟ هذا من الأسس في هذه، هل من المحتمل هذا أن يكون واقعُ هذا مطابقاً لما يقوله؟ أمَّا إذا قد مر في حياته بتجارب كبيرة، ووجدناه شريراً فيها، وفي كل مرة يخدعنا بكلام معسول، وكل مرة نقول: "عسى أنه قد با يصدق، أمّا ذا الحين عسى أنه قد با يصلح"[1] معناه أنك تجعل نفسك ميداناً للخداع باستمرار.

هذه تهدي الناس إلى أن يكون لديهم قدرة في التقييم، قدرة في التقييم للآخرين، ومن الأشياء الأساسية في هدى الله سبحانه وتعالى أنه يعطي الناس بصيرة يستطيعون أن يقيموا، أن يعرفوا الصادق من الكاذب، يعرفوا أنه قد يمكن أن تكون أفعاله متوافقة مع أقواله الجذابة، يعرفوا أنه قد يمكن أن يكون مخادِعاً بكلامه المعسول، وأفعاله كلها شر؛ لأن هذه قضية أساسية في مقام الهدى، وأن تعرف أنه عندما يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ هذه قاعدة في تشريع الله، في هدي الله، لا يأتي بأشياء فقط يقول لك يوجد كذا فقط.

عندما تأتي إلى القرآن الكريم تجد أنَّ داخله كثيراً من الآيات التي تحكي ما يشخّص لك هذه الفئة، وهذه الفئة، وتعرف النفسيات تماماً حتى بمؤشراتها، لا يقول: ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ ويتركها هكذا مُبهَمَة مُجمَلة، أول شيء يعطيك فكرة أن هذه قضية واقعية، يحصل في الناس نوعيات من هذه. وفي نفس الوقت داخل سور القرآن الكريم آياته الأشياء الكثيرة التي تشخِّص. هنا لاحِظ كيف تحدَّث عن المنافقين، وشخص نفسياتهم وأعمالهم وأقوالهم ووسائل خداعهم و، و، و. في داخل آيات القرآن الكريم، في كثير من السور.

هنا أيضاً فيها: ﴿وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾(البقرة:٢٠٤) أليست هذه عبارة خطيرة؟ يُشبه القَسَم الذي أقسم به إبليس لآدم وخدَعه ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾(الأعراف:٢١) وهو في نفس الوقت ﴿أَلَدُّ الْخِصَامِ﴾(البقرة:٢٠٤) لك، أَلَدُّ الخصام للأمة، أي: خصم من أَلَدِّ الخصوم.

﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ أينما وصلتْ يدُه في أرض يفسد فيها ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ هذه القضية معروفة الآن من خلال ما نراه من أعمال الأمريكيين والإسرائيليين، ومحاولتهم لإهلاك الحرث والنسل. إهلاك النسل: عملية التشجيع على الحدِّ من النسل، ووسائل كثيرة يعملونها ليحصل عُقم عند الكثير من الناس سواءً في أحزمة، أو في أجهزة طبية، أو في أيِّ شيء من هذه الأشياء، أو داخل المواد الغذائية، أليس هذا إهلاكاً للنسل؟

وإهلاك للحرث أيضاً فيما يتعلق بمواد كثيرة يشكون منها، قالوا: في مصر الآن حصلت هذه: تصبح الأرض

(١) عسى أنه قد با يَصْدُق: من اللهجة العامية، وتعني: نأمُل ونرجو أنه سيَصْدُق. أمَّا ذا الحين: أمَّا الآن.

نفسها معطلة، لم تعد صالحة للزراعة، لا تصلح للزراعة ﴿وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ﴾ إهلاك الحرث: تدمير للزراعة، أليسوا في فلسطين يدمرون المزروعات، يدمرون المزارع؟! وتدمير للزراعة من جهة أخرى، إذا كان هناك شعب ينتج كاليمن ينتج (بُنّ) فإنهم يحاولون أن يدمروا هذه الزراعة التي تُعتبَر مصدراً هاماً لكثير من الناس، يحاولون بطريقة أن يصدروا بُنّاً مدعوماً، أي: يبيعونه ولو بأقل من سعر الشراء؛ حتى يضربوا الناتج المحلي. عملوا هذه حتى في مزارع الدجاج، أي: ترى البلاد العربية، ترى هنا في اليمن لم يعد يصلح أن يتربى فيه دجاج، لا بُد أن تأكل دجاجاً من البرازيل أو دجاجاً من فرنسا. إهلاك الحرث والنسل يكون أحياناً عبر هذه الطرق المتعددة.

يحاولون فعلاً أن يهلكوا حرث الناس هذا، فلا يكون أكثرهم منتجاً، ولا يُشكّل شيئاً بالنسبة لهم، المواطنون يظلون في الأخير مُجرَّد مستهلكين، وما خسره في عملية إهلاك حرثك، عندما يحاول أن يُصدِّر لك كميات مدعومة تراها رخيصة أرخص من الناتج المحلي، في الأخير عندما يعطّل زراعتك أنت سيستعيد ما بذله وما خسره بأضعاف مضاعفة، سيرفع السعر قليلاً قليلاً، في وقت قد أصبحتَ محتاجاً إليه، هذه سياسة ثابتة عندهم.

للأسف لا يوجد هناك رعاية من نفس الحكومات القائمة، تشجيع للمزارعين، تشجيع للناتج المحلي، تسهيلات كبيرة حتى يمكن للمزارع أن ينتج ويبيع برخص ويكون أيضاً مستفيداً ما يغطي تكلفته ووقته، ما يساوي وقته وتكلفة الإنفاق على المزروعات في حراثة الأرض حتى يُحَصِّل ثمرته ويُسَوِّقها، لا تَحصل رعاية بهذا الشكل، لماذا؟ لأن بعض الشركات الأجنبية وبعض الدول الأجنبية تعمل رشاوى كبيرة لمسؤولين مُعيَّنين، يساعد هو في ضرب الناتج المحلي، ويستورد منتجات من البلدان الأخرى، في الأخير ترى زراعة التفاح، زراعة هذه الحمضيات بشكل عام، زراعة البُن، زراعة أشياء كثيرة، مُعرَّضة للتلاشي؛ ليبقى الناس في الأخير سوقاً استهلاكية، ولا حتى الخضروات أو الفاكهة لم تعد تحصل عليها من بلادك.

إذاً تلاحِظ من هذه أنك تقارن ما بين الأقوال والأفعال، كوسيلة من وسائل أن تعرف الطرف الآخر. لا تُخدع بكلامه المعسول دون أن تنظر إلى فعله، إذا نظرتَ إلى أفعاله تجد أفعاله على هذا النحو، ستعرف بأنه إنما يخادع بكلامه ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾(البقرة:٢٠٥) هذه نوعية سيئة، لكن في نفس الوقت أنت يجب أن تنظر إلى أعماله لتعرف من خلالها أنه شرير، وأن كل ما يقوله من كلام معسول إنما هو عملية خداع.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ﴾ يأنف أن يتقي الله، يأنف أن يرجع عن هذا الفساد، أن يتحول عمَّا هو عليه من فساد، يأنف ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾(البقرة:٢٠٦).

﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ نوعية أخرى، تجد كيف النوعيات متفاوتة بشكل كبير ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(البقرة:٢٠٧) يبيع نفسه من الله ابتغاء مرضاة الله. فيجب أن تفهم أن هذه النوعية هي النوعية التي تُصلح في الأرض، هي هذه، وليست المسألة أن نفهم النوعية السابقة فقط، النوعية التي تكون منصرفة بعيدة عن الله، بعيدة عن هدى الله، غارقة في ذاتها، تتحول إلى مُفسدة في الأرض. النوعية الأخرى: المتجهة إلى الله، المهتدية بهدي الله هي النوعية المصلحة في الأرض، ولصلاحها في الأرض - وهذا من قمة الصلاح في الأرض - أن يكون مستعداً أن يبيع نفسه من الله، عندما تبيع نفسك من الله، في مواجهة من؟ هل هناك بيع للنفس من الله في مواجهة مصلحين، أو في مواجهة مفسدين؟ في مواجهة مفسدين.

عندما يكون هناك نوعية من الناس بهذا الشكل: يبيعون أنفسهم من الله في مواجهة مفسدين معناه: أنهم يحولون دون أن يعمَّ الإفسادُ عبادَ الله، فهم المصلحون في الأرض هم، إذاً هؤلاء هم الوطنيون حقيقة.

يتجلى للناس من خلال هذه كيف تكون النتيجة بالنسبة للالتزام بهدى الله أو الإعراض عنه، الإعراض عنه يُنتج نوعية سيئة من تلك التي قال عنها: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾(البقرة:٢٠٥) ومن يستقيمون على هدى الله يكونون من هذه النوعية الأخرى؛ لأن الجهاد في سبيل الله هو في الواقع من أعلى الخدمات للأمة؛ لأن الجهاد في سبيل الله إنما يكون جهاداً لمفسدين من هذه النوعية، والمفسدون من هذه النوعية عندما يقول: ﴿يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ حرث ونسل من؟ حرثه هو ونسله هو، أو حرث ونسل الآخرين؟ أليس حرث ونسل الآخرين؟

فالجهاد لهؤلاء الذين يكونون على هذا النحو أليس في الواقع لصرف هذه النوعية عن أن تُهلِك حرث ونسل

الآخرين؟ من إيجابياته الهامة: أن هؤلاء هم المصلحون في الأرض حقيقة، ولم يُقدِّم لك هنا أقوالاً برَّاقة لديهم بالنسبة لهذه النوعية الثانية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ هل هذا النوع لديه كلام برَّاق مخادع؟ وأيضاً لم يُقدِّم لك قضية: ومن الناس من يقول كذا وكذا وهو في نفس الوقت كذا، حتى ولو كلاماً جميلاً، وواقعياً؛ لأن هذه النوعية – عادة – تكون مخلصة لله، عمليّة، فاعلة، لا تحتاج أن تعرض نفسها بشكل برَّاق: نحن، ونحن، ونحن...إلخ. لا تحتاج إلى هذا. متى ما باع نفسه من الله، هذا جانب عملي هام، والإيجابية هنا في موضوع العمل: ﴿يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ﴾.

﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(البقرة:٢٠٧) رؤوف بعباده بما فيهم هؤلاء الذين شروا أنفسهم من الله، ورؤوف بعباده جميعاً أن يهيئ من هذه النوعية حتى لا ينفرد بهم المهلكون للحرث والنسل، والمخادعون بالكلام المعسول.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾(البقرة:٢٠٨) الدخول في الإسلام، التسليم لله ﴿كَافَّةً﴾ هنا لاحِظ النماذج التي قُدِّمت لمن يكونون مُسَلِّمين لله أو غير مُسَلِّمين لله، فالتسليم لله، الإسلام لله، هو السلام الحقيقي لعباد الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ ليس معناه: ادخلوا في السلام الذي يدعوكم إليه الآخرون، سلام أمريكي، ليخرج من هناك من يقول: ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ هذا التسليم لله والذي هو سلام حقيقي وهو القائم على التسليم لله، هذا الإسلام، أليس الله سمَّى دينه الإسلام؟ هي كلها مشتقة من عبارة تسليم، والتسليم في الأخير (سلام) ألم يُسمِّ الجنة (دار السلام)؟ فالسلام الحقيقي يأتي نتيجة وثمرة من ثمار التسليم الحقيقي لله سبحانه وتعالى؛ لأن الله هو (السلام) وسمى دينه الإسلام، وسمى الجنة دار السلام.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ وأنتم ستجدون سِلْماً من هذه النوعية الأخرى: المخادعة، فالإنسان بحاجة إلى أن يكون في موقف يسلَم من التضليل، يسلَم من الخداع؛ لأنه إذا مشى التضليل عليك، ومشى الخداع عليك، تصبح أنت ضحيته، يصبح المجتمع الذي هو قابل للتضليل وقابل للخداع يصبح هو ضحية، إذاً فدين الله، وهدي الله هو سلامة للناس من التضليل ومن الخداع، ومن كل ما يجعلهم في الأخير ضحية، وضحية ليس لها قيمة، وضحية يكون وراءها جهنم، خسارة في الدنيا، وخسارة في الآخرة ﴿وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾(البقرة:٢٠٨) كل ما قد يصل بك إلى أن تتأثر بهذه النوعية المخادعة المضللة هو كله من وساوس الشيطان وخطواته، تنبهر بخطاباته البرَّاقة، تنبهر بوعوده البرَّاقة، تنبهر بقوة مُعيَّنة هو عليها، وتظن أنه هو الذي يُشكّل سلاماً.

الآن لو يأتي عرض عسكري في أيِّ بلد عربي، هل يوجد أحد من الناس ربما قد يُعجَب به، ويَعتبِر أن هؤلاء أناس يستطيعون أن يعملوا كذا؟ الآن افتضحوا بعد قضية العراق، وعندما وجدناهم هم يتسابقون إلى ود أمريكا وإسرائيل، معناه أن الجيوش التي لديهم، والقوة التي لديهم أصبحت لا تشكّل شيئاً، لا تشكّل حماية، العراقيون مثلاً ربما كانوا سابقاً عندما تعرض صواريخ أنتجها العراق، يعتبرون أنفسهم جيشاً قوياً يظهر بعروض عسكرية، يتركّز شعر الواحد منهم[1] ويظن أن هؤلاء سيستطيعون أن يصدوا أيَّ قوة تهاجمهم، وفي الأخير كيف كانت؟ لا شيء، في الأخير تهاوى الجيش، وتهاوت تلك القوة، ودمرها العدو قبل الدخول في الحرب.

إذاً ﴿لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ هو لا يوجهك أبداً إلاّ حيث يكون فيه هلاكك، قد يوجهك إلى أن تعجب بطرف مُعيَّن؛ لأنه في إعجابك به يَنفق[2] تضليله عليك، تكون في الأخير ضحية. لاحِظ كيف كانت قصة موسى عليه السلام وفرعون قصة عجيبة وجذابة جداً، وبيَّن في الأخير كيف كانت النتيجة عندما استطاع فرعون أنه يخدع قومه بمظاهر المُلْك، والأساور الذهب، وبـ(النيل) كأنه هو الذي صنعه، وموسى يبدو إنساناً فقيراً معه عصا قد يتصورون أن هذا لا يمكن أن يُشكّل شيئاً، موسى لا يمكن أن يُشكّل للأمة سلامة أو يهديها سبيل الرشاد.

لكن فرعون عندما قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾(غافر:٢٩) أليس هذا كلاماً من هذا النوع الجذاب؟ يلاحظون شكليات مُعيَّنة هو عليها، ويظنون أن هذا هو الذي يهدينا سبيل الرشاد، أمَّا ذلك – موسى – فلا يستطيع أن يعمل شيئاً، هو فقير ليس معه إلاّ عصا، وفي الأخير كيف كانت النتيجة؟ ألم يصل

(١) يَتَرَكَّزُ شَعَرُ الواحد: كناية عن الإعجاب والفخر.
(٢) يَنْفُق: يَنْطَلي.

موسى عليه السلام بقومه ومن ساروا معه إلى أن يهتدوا، فينجوا؟ ينشق لهم البحر، ويخرجون، وفرعون وصل وأوصل قومه إلى أعماق البحر، يغرقون في البحر؛ ولهذا قال الله فيما بعد: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾(طه:٧٩) انخدعوا بأساور من ذهب ماذا سيعمل لي أن معه سوار ذهب برَّاق في معصمه؟ هذا سيهديني سبيل الرشاد؟ أو أن معه كرسياً مُطعَّماً ومزخرفاً بالأحجار وبالفصوص وبالأشياء الجميلة، هذا الذي سيهدينا سبيل الرشاد؟

أحياناً وأنت تشاهد العروض العسكرية نفسها قد تعتقد بأن هذا الجيش يمكن أن يُشكّل حماية للأمة، ترى صواريخ تعرَض، ترى دبابات، لكن في الواقع كُشف - وهذا من النعمة علينا حتى يعرف الناس أنه يجب أن يعتمدوا على الله، ويعدّوا هم ما يستطيعون من قوة، يتجهون هم - الجيوش لم تعد تشكّل محط أمل حتى عند الحاكمين أنفسهم، الشيطان أحياناً، والشياطين قد يجعلون شعرك يتركّز وأنت تشاهد عروضاً مُعيَّنة، أو تشاهد خطاباً مُعيَّناً، أو تشاهد أشياء من هذه تقول: (هذا الذي هو أسد الله، سيهزم أبوهم هؤلاء، انظر ماذا؟) عندما يرى صواريخ من تلك فوق ناقلة أو نحوه.

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة:٢٠٩) أليس هنا يَنهى الناس ويُنبِّههم: ﴿وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾، ﴿ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾(البقرة:٢٠٨) فيما يشكّل سلامة لكم من هؤلاء الذين هم مخادعون ومضللون، وفي نفس الوقت متى ما اتجهوا عملياً فإنهم يفسدون في الأرض، يسعى معناه: يتحرك بقوة ليفسد في الأرض، فالسعي: هو الحركة زيادة على الحركة الطبيعية.

﴿فَإِن زَلَلْتُم﴾ ثم اتباع خطوات الشيطان ليس معناه: خطوات رزينة، وخطوات ثابتة، معناها: انزلاقة. أحياناً قد تسير على طريق تُعتبَر خطواتك فيها خطوات ثابتة، أليس في أدعية المؤمنين ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾؟ تزلّ قدمك، مزالق خطيرة. ليس معناه أنك ستحط قدمك مكان قدمه، بمعنى: أن الله يرسم للناس الطريق التي تكون أقدامهم ثابتة عليها. إذا كان هناك خطوات تمثل انزلاقات فهو يهدي الناس إلى أن تكون خطواتهم وراء خطواته ثباتاً واستقامة؛ ولهذا قالوا: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة:٢٥٠) ألم يكونوا وراء طالوت؟ شخص خُطاه ثابتة، تخطو خطواته تكون خطوات ثابتة. خطوات الشيطان كلها مزالق تزل قدمك.

﴿فَإِن زَلَلْتُم مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ بينات توضح لك أن هذه الخُطى تزل قدمك إذا مشيت عليها، وهناك طريق الخُطى الثابتة، تريد أن تكون خطاك ثابتة؟ امشِ هناك ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ هو غني عنكم، ولن تعجزوه، ولن تفوتوه.

بعد وضوح البينات وكثرتها، أي: عندما نقرأ الآن سورة واحدة، أليست (سورة البقرة) سورة واحدة من القرآن؟ كم تجد فيها من زحمة هدى! كم تجد فيها من أمثلة متعددة! كم تجد فيها من أشياء كثيرة جداً! ماذا بقي بعد هذه؟ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمر الله وعذابه، أن يُقدَّم هدى على أعلى مستوى، وبيان على أكمل بيان، ووضوح، وبلاغ تام، ماذا ينتظرون بعد؟ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ﴾ عذاب، يأتيهم أمره ﴿وَالْمَلاَئِكَةُ﴾ الملائكة أيضاً من جنود الله الذين يكون لهم دور في مسألة عذاب الأمم ﴿وَقُضِيَ الأَمْرُ﴾ يُقضى عليهم، قضي الأمر، متى ما بدأت مؤشرات العذاب بسبب انصراف الناس عن هدى الله، اعتبر الموضوع قضي الأمر ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾(البقرة:٢١٠).

لاحِظ هذه الآية ما أهمها وكثير من الآيات في المواقف الهامة يأتي بعبارة: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ﴾(هود:١٢٣) أو ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾(الشورى:٥٣) أو ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾(البقرة:٢١٠) هذه تعطي للإنسان دفعة بأن يسير على هدى الله، وأن يعرف أنه ليس هناك مقابل لهدى الله إلاّ أن يأتي أمر الله: العذاب، والخزي، والعقوبات، ألم يقل هناك: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(التوبة:٢٤)؟ بالنسبة للقاعدين عن الجهاد، وتكون أموالهم، وتجارتهم، وبيوتهم، ونساؤهم، وأولادهم أحب إليهم من الله ورسوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ أي: لم يبقَ بعد هذا الهدى الشامل والوضوح الذي تراه مليئاً برحمة الله، مليئاً بالرحمة حقيقة، لم يبقَ إلاّ ماذا؟ الهلاك.

فليَفهم الناس بأنه يجب أن يستقيموا، وأن الله هو الذي إليه ترجع الأمور، هو الذي يُغيِّر الأشياء، هو غالب على أمره، لا أحد يستطيع ولا حتى الأعداء أن يعملوا شيئاً في الدنيا على كيفهم، ويكونون مغالبين لله، لا تحصل هذه أبداً، فلا يكن مما يصرفك عن أن تسير على هُدى الله أن ترى أموراً كبيرة هناك تشكّل خطورة عليك، الأمور كلها ترجع إلى الله، الله سيجعلها يوماً من الأيام لا تمثل شيئاً، بل قد تراها في يوم من الأيام يجعلها الله بالشكل الذي يخدم القضية التي أنت فيها. وحتى عندما تنصرف عن هدي الله سبحانه وتعالى،

وتظن أنه لن يحصل عليك شيء، قد صرت مع الجهة التي تمثل خطورة، لا، إليه ترجع الأمور، يمكن أن يجعل هذه الجهة التي أنت مطمئن إليها، يجعلها تشكّل خطورة عليك، وتضربك هي.

مَن الذي هو متجه لضرب العرب الآن؟ مَن؟ من كانوا يتسابقون على ودها وصداقتها وخدمتها: أمريكا، أليس كذلك؟ لأنه يرى أنه إذا قد أصبح من الموالين لأمريكا فلا خوف عليه من أيِّ جهة أخرى ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ فممكن أن يجعل هذا نفسه، وهذه قد تكون من أشد أنواع العذاب، حسرة حين ترى من كنت تتسابق على وده، ويبدو أنه صديق حميم وأشياء من هذه، وإذا هو – وأنت تصادقه من أجل أن تأمن من أيِّ خطورة أخرى – وإذا به هو منبع الخطورة، لا يوجد ملجأ غيره، لا يوجد ملجأ آخر منه أمامك؛ إذاً ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ في الاتجاهين: من يحاول أن يدبِّر نفسه ويكون بعيداً عن هدي الله على أساس أنه مطمئن، يتأقلم مع جهة هي تشكّل خطورة، وزالت الخطورة، لا، مَن يريد أن يتجه على هدي الله ويرى أموراً كبيرة أمامه، ويظن لا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ يمكن هذه كلها تلك التي تراها عقبات وجبالاً كبيرة، تتهاوى، تصبح لا شيء، معنى هذا: أنه تهديد، أي: لا تعتقد أن الله يترك القضية هكذا. إمَّا أن يسير الناس على هديه، وإلاّ فما بقي إلاّ أن ينتظروا عذابه وعقوباته في الدنيا وفي الآخرة.

﴿سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ اسألهم، وانظر حالتهم كيف أصبحوا؟ ليتجه الناس عندما يأتي بهداه، ويهدد بأنكم إذا لم تسيروا على هداه ستأتي هذه العواقب السيئة، إذا كنت قد قرأت، ورأيت ما وصل إليه بنو إسرائيل، وما وصلوا فيه من أشياء سيئة جداً، هناك آيات كثيرة، وهدى كثير تمثل نِعمة: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(البقرة:٢١١) هنا في السابق تحدَّث عن قضية كهذه القضية، ثم رد ذهنيتك إلى أمة أصبح واقعها هكذا، آيات بينات: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرائيلَ كَمْ آتَيْنَاهُم مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ هي تمثل نعمة لو ساروا عليها واهتدوا بها، ثم كانوا على هذا النحو، فأصبح واقعهم على هذا النحو السيئ في حياتهم، في تاريخهم، هذا مَثل من واقع البشر يقدِّمه، إذاً هذه هي سُنة إلهية: ﴿مَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ ينتظر ماذا؟ نقمة: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(البقرة:٢١٢) هذه الأشياء التي تخدع الناس، تَقَدَّم في البداية ذِكْر فئتين من الناس: الفئة الأولى هي هذه: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(البقرة:٢٠٤، ٢٠٥).

والفئة الثانية هي: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾(البقرة:٢٠٧) هؤلاء ليس لديهم كلام برّاق مخادع كالنوعية الأولى، الذي قد تتصور نتيجة لوعوده البرّاقة أن بيده مستقبل الحياة، وبيده عمارة الحياة، وبيده تحرير الشعوب، وبيده كذا، وفي الأخير لا تشكّل شيئاً، تجعلك تسخر من الجانب الآخر، تنشدّ إلى الجانب الذي لديه مظاهر، فتنخدع بمظاهره، ويصبح لقوله التضليلي والمخادع أثر في نفسك وأنت تنظر إلى مظاهره، تجعلك تسخر من الذين آمنوا، ترى ليس لديهم إمكانيات، ترى ليس لديهم قوة مثل الطرف الآخر، قضية موسى وفرعون نفسها. فقط يسخرون منهم؛ لأن هذه الحالة عند الإنسان إذا لم يكن فاهماً لقضية هذه الدنيا، كيف أن بالإمكان أن يحصل لطرف آخر أموال، ويحصل لديه إمكانيات أخرى؟ ثم انظر كيف تكون عاقبته هو؟ يكون عندك نظرة واقعية بالنسبة لمظاهر هذه الحياة، فلا تكن المظاهر نفسها بالشكل الذي يخدعك، وأنت ترى بأن تلك المظاهر هي في يد ليست يداً أمينة.

هل كان ذلك العرش الذي عليه فرعون، والأساور من ذهب ﴿وَهَذِهِ الأَنهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾(الزخرف:٥١)؟ ألم يقل لهم هكذا؟ كان يقول لهم هكذا، خدعهم بمظاهره، زينت لدى الآخرين بمعنى: أن الطرف الآخر يحاول أن يُقدِّم ما لديه من أشياء، ومظاهر، يُقدِّم لك يُزيِّن لك أنت لتنخدع بتضليله، وتسير وراءه، تصبح في الأخير تسخر ممن هم في الواقع سبيل للنجاة، سبيل للهداية، وعلى أيديهم تتحقق الهداية والنجاة ﴿وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(البقرة:٢١٢).

لو لم يحصل في معادلات هذه الحياة الدنيا أن يرى الكافرون المؤمنين فوقهم في هذه الحياة، فقد يكون ولو جيل منهم، جيل منهم لا يدرك هذا الشيء، فيوم القيامة سيرونهم فوقهم مثلما قال في آية أخرى، ألم يذكر عن المؤمنين بأنهم: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾(المطففين:٣٤- ٣٦)؟

قد تكون هذه النفسية هي نفسية عند الطغاة أنفسهم، عند الكافرين بالله، يُزيَّن لديهم ما هم عليه ويدفعهم إلى السخرية من المؤمنين، فتكون مظاهر حياتهم بالشكل الذي تحول بينهم وبين أن يهتدوا، فتكون النتيجة لهم خسارة في الدنيا، وخسارة في الآخرة. قد يرون الذين آمنوا فوقهم في الدنيا، وإذا لم يحصل لدى البعض منهم ففي القيامة، في الموقف الخطير جداً والحرج جداً؛ لأن مواقف الآخرة أشد من مواقف الدنيا؛ لأنها مواقف حاسمة ومتفاوتة جداً: ﴿وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً﴾(الإسراء:٢١) في الاتجاهين.

فسخريتهم من الذين آمنوا تجعلهم لا يقبلون أن يهتدوا في الأخير؛ لأن هذه من الآثار السلبية لمظاهر الحياة عند فئة من الناس على هذا النحو هي تحجبهم عن الهداية؛ لأنه قد ألف في نفسه أن يُقيِّم كل شيء على أساس الزخرفة والمظاهر، إذا لم يكن لديك مظاهر حياة كمثله؛ ولهذا فرعون لم يرضَ أن يستجيب لموسى، هل رضي أن يؤمن؟ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾(الزخرف:٥٢) أليست مظاهر الحياة لديه صرفته عن أن يستجيب لموسى؛ لأنه يرى أنه لا يوجَد لديه شيء؟ ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ﴾ يقول لقومه: ﴿أَنَا خَيْرٌ﴾.

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾(البقرة:٢١٣) هذا يؤكد في الأخير حاجة البشر إلى كتب الله ورسله، حاجة البشر إلى هداية الله، حتى ولو كانوا لا يزالون مجتمعاً واحداً. يقال في تفسيرها: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فاختلفوا ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ﴾ حتى وإن كانوا أمة واحدة هم يحتاجون - الإنسان كإنسان، المجتمع المتكون من البشر، ولو كانوا أمة واحدة، هم عبارة عن طوائف، أو عبارة عن شعوب وكذا - هم يحتاجون إلى أنبياء الله ورسله وكتبه؛ ولأنه تطرأ فيما بينهم في تعاملهم الفردي مع بعضهم بعض تطرأ كثير من الاختلافات.

إذاً فبالأولى أن يكون البشر بحاجة إلى كتب الله ورسله في حال اختلافهم هم، فيصبحون طوائف وأمماً، فيصبحون مجانبين للحق؛ لأن هناك في جانب هذا الحق خطوطاً مجانبة له؛ لأنه حتى داخل الأمة الواحدة المحقة التي هي على الصراط المستقيم تحصل اختلافات بسيطة بين الأفراد، في مواضيع المعاملات، والنكاح، والطلاق، وأشياء من هذه، يختلفون فيها، ألم يحصل مثل هذه الحالة في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم)؟ حصل في نفس المجتمع أشياء من هذه، كانوا يتشاجرون ويختلفون، ولكن تحسم القضايا بسرعة.

ليس معناه بأن البشر عندما يكونون أمة واحدة هم كبشر، واعتماداً على فهمهم وذكائهم، أنهم قد أصبحوا يستطيعون أن يرسموا لأنفسهم طريقة فلا يحتاجون إلى كتب ولا رسل. البشر يحتاجون إلى هدى حتى لو وصلت الأمة إلى أن تصبح أمة واحدة فهي لا تزال بحاجة ماسة إلى هدى الله المستمر دائماً داخلها، وإلى هذا الهدى الشامل؛ لأن هناك كثيراً من الأشياء تطرأ في الداخل تحتاج إلى حل، تطرأ خلافات واسعة كلما اتسعت الأمور قد تحصل.

فبالأولى عندما يصبح البشر مختلفين، وتصبح هناك سُبل غير سبيل الله، وتصبح هناك طرق متعددة فلا يمكن أن يَحُل هذا الاختلاف ولا يمكن أن يجعل الناس أمة واحدة إلاّ ما هو من عند الله، هدى الله الذي يأتي عبر هذه الطريقة: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾(البقرة:٢١٣) لأن اختلاف الناس عادة يأتي فيه محظورات، عندما يصبحون في واقع هو واقع أن يُبَشّر وأن يُنذَر، يكون البشر هم في واقع أن يُبشروا وأن يُنذَروا ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ إذاً هذه حصلت: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾(البقرة:٢١٣). فالكتاب نفسه جاء ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، لكن المشكلة أنه حصل اختلاف فيه، أي: في الكتاب ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾(البقرة:١٧٦) كما تقدَّم في الآية السابقة.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: في الكتاب ﴿إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ إذاً هذه تعطيك صورة ثابتة عمَّن يختلفون في كتب الله، ويختلفون في دينه من بعد رسله، يكون هذا منشأها، ليس منشؤها نفس الكتب هي التي توجد اختلافاً؛ لأن كتب الله هي تنزل لتحسم الاختلاف بين الناس في القضايا الكبيرة والصغيرة، تجعلهم أمة واحدة، ويبقون أمة واحدة، وأيُّ شيء يطرأ داخلها هذا يحسمه باستمرار، ومع هذا يأتي من الناس من يختلفون فيه، فعندما يحصل اختلاف فيه منشؤه هو هذا: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: في الكتاب ﴿إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي: قيل لهم قوموا به، خذوه بقوة، تمسكوا به، التزموا به، وعلى أساس أنهم أوتوه ليقدِّموه للآخرين؛ فاختلفوا فيه، فضربوا بقية البشر ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ أي: أنهم اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات تحذرهم من الاختلاف، وخطورة الاختلاف، وترسم الطريق التي يسيرون عليها فلا يختلفون.

فتفهم من هذه أن أيَّ اختلاف في أيِّ أمة من الأمم بعد أنبيائها لا يكون منشؤه – أبداً – قصوراً في البينات والهدى، أو تقصيراً من أنبياء الله على الإطلاق، مثلاً فيما يتعلق بالمختلفين بعد رسول الله محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) البعض لا يزال يتأوّل يقول: (يمكن أنهم ما عَلِموا من قول رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ((فمن كنت مولاه فهذا عليٌّ مولاه)) أنه نص على أنه هو الخليفة بعده، ما عَلِموا، ما دروا) فعندما تجد اختلافاً بعد نبي من أنبياء الله، فتأكد بأن الطرف المخالف هو يخالف عن عِلم، هذه القاعدة ثابتة، وتكررت في أكثر من آية مخالفون عن علم، لم يعد هناك مجال أن تتأوّل له على الإطلاق، ليس هناك ما تتأوّل له، ثم يأتي مَن يسيرون – مِن بعد – على ما قد رُسم كامتداد لذلك الضلال الذي كان نتيجة للاختلاف الذي طرأ؛ لأن الاختلاف عادة يكون ماذا؟ خروجاً من طريق الحق إلى ضلال، فالطرف الذي كان على هذا النحو هو يُقدِّم ضلالاً، وفي الأخير قد يكون في الأجيال المتعاقبة من ينظرون إليهم أنهم ساروا على تلك الطريقة، واعتقدوا أنها مسيرة مستقيمة.

﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ هكذا اعتداء صريح، ومخالفة صريحة. ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ من الحق﴾(البقرة:٢١٣) لأنه في أثناء الاختلاف في الدِّين يصل الاختلاف إلى الاختلاف في الكتاب، أي: فيما يتناول الكتاب. ألست تجد اختلافاً في التفسير؟ هو هذا، اختلاف حتى في التعامل مع الآيات، يَعتبر هذه منسوخة، وليست منسوخة، يُقدِّم تفسيرها بشكل آخر؛ فهنا يحصل التباس، تحصل عملية لبس في أوساط الناس من خلال عمل هؤلاء الذين خالفوا ﴿بَغْيًا﴾ نتيجة البغي، وبدوافع البغي.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ من الحق بِإِذْنِهِ﴾ أي: أن هذه سُنة: أن الله يهدي إلى الحق الذي أضاعه الذين خالفوا وقدَّموا ضلالاً وسموه حقاً، وبدا أمام الناس وإذا هذه القضية قد التبست، أن الله يهدي: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أن تؤمن الإيمان الواعي، أن تعرف أن لله سُنة في هدايته: أنه رحيم لا يترك أحداً يضيع الحق تماماً؛ لهذا عندما نقول نحن فيما يتعلق بالماضي: عندما ترجع تجد أنه كان حاصلاً في مسيرة الزيدية هذه، ناهيك عن باقي الأمة، كان يأتي أشخاص ينبهون، إنما بعضهم لم يحكموا حتى نسميهم أئمة، وبعضهم حكم، ثم جاء من بعدهم آخرون فعمموا شيئاً فجئنا نحن نتشبث به. هذه طريقة ثانية، لم يعد بالإمكان أن يخرجك مما أنت عليه ومتشبث به.

افهم الطريقة، إذا فهمت الطريقة الصحيحة ستجد لها أعلاماً في مسيرة البشر، وإن كانت أدواراً، قد تكون أدواراً محدودة للبعض أو أدواراً متفاوتة، ولكن لا يحصل أن يضيع الحق تماماً، لكن الناس هم في الأخير يضيعون الحق هم، لا يرضون إلاّ أن يتشبثوا بتلك الطريقة، ويبقوا عليها.

نحن نقول في موضوع فنون مُعيَّنة: هي تُعتبَر خطيرة جداً في صرف الناس عن القرآن، ألم تنزل أقوال واضحة في هذا الموضوع؟ وترى تشبثاً في نفس الوقت، أليس هناك تشبث عند طرف آخر، يتشبث لا يرضى أن يترك هذه الطريقة وهي طريقة ضلال؟ لا يأتي الباري ليخلص يدك ويدخلك في الحق رغماً عنك، هذه لا تحصل. ولهذا كان بعض الأنبياء يعجزون، ألم يكن بعض الأنبياء يدعو حتى يقتنع بعدم استجابتهم؟ وفي الأخير يأتي عذاب على أمته، يُبيِّن بياناً كاملاً واضحاً ولم يبقَ إلاّ عناد بحت، يُضربون في الأخير، ليس معناه: أن الله يسمح أن القضية تُعتّم تماماً على البشر.

﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾(البقرة:٢١٣) لاحِظ كيف الإنسان بحاجة إلى أن يُقدِّم له أنه ﴿يَهْدِي﴾ هدى متكرراً، يهدي من الناس من يُبيِّن لهم، ويُنزل الكتب تهدي، ثم يأتي ناس يحملونها فيختلفون ألم يحصل هنا مشكلة؟ ألم يحصل ضلال؟ أيضاً يهدي هناك ﴿يَهْدِي﴾ ليبيِّن للناس الحق الذي ﴿اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ مَن أوتوا الكتاب، معناه: أن هدى الله لا ينقطع أبداً عن الناس؛ لأن هداه هدى رحيم بعباده، لا يقول: (يكفي قد نزلنا كتاب، ورسول ويكفي). متى ما اختلفوا في الكتاب، وحصل لبس، وحصل تضليل، هو أيضاً يهدي، لكن مَن يهدي؟ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ أليس هذا مظهراً عظيماً من مظاهر رحمته بعباده؟ – فعلاً – لا يقول: (يكفي، في ستين داهية).

أيضاً يهدي ويوفق ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وتجد نفس الطريقة في سُنن الله في

الهداية، ألسنا نلمس من البداية أن الله يأتي بطريقة مسهلة جداً؟ وحتى في هذه المرحلة الأخرى التي تُعتبَر مرحلة خطيرة، هي مرحلة لبس، وقد صار المنطق كله دينياً، وكله حول الكتاب والسُّنة، أليس هذا يحصل؟ أيضاً يُقدَّم بطريقة سهلة.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(البقرة:٢١٤) وهذا مظهر آخر من مظاهر عمل الله في الميدان العملي، هدى الله في مقام لبس الحق بالباطل يهدي، أليس هذا شيئاً؟ وفي الميدان العملي أيضاً هناك يهدي ويفرِّج، ويأتي بالفرج في المراحل الصعبة، وتكون قيمة الفَرَج العظيم في المراحل الصعبة. كثير مما تحصل من هذه (يمس الناس بأساء، وضراء، وزلزلة) لأن من قد حكى عنهم من قبل النوعية الأخرى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾(البقرة:٢٠٥).

وهؤلاء الذين يختلفون في الكتاب بعدما يُؤتَونه فيعملون ضلالاً، ثم ينشأ من الضلال أشياء أخرى تجعل الحياة مليئة بالأشواك فعلاً، يجعل أشياء كثيرة، مطبّات كبيرة، ليس معنى هذا أنه قد طبَعها ولازم من يجاهدون في سبيله أن يصب عليهم بأساء وضراء وأشياء من هذه، لا، هو يعطي الإنسان دفعة قوية من البداية، أي: يشجعك أن تكون مستبسلاً في سبيله، وقدَّم نماذج هامة حكى عنهم بأنهم أحياء، لا يصح أن تقولوا للشهداء: أموات، ثم أثنى على من سماهم في الآية الأخرى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٠٧) هذه الروحية تجعلك تتحمل، وتتجاوز كل هذه الصعوبات، وتجد أن المسيرة مهما كانت تبدو صعبة تنتهي إلى ماذا؟ إلى أن يأتي نصر من الله، والنصر من الله معناه ماذا؟ فرج، أليس معناه فرجاً وتمكيناً وقوة؟

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(البقرة:٢١٤) عندما يكون الناس في مرحلة أصبحت فيها حالات من هذه فالمسؤولية هي أن تعمل على إعلاء كلمة الله، وتجاهد في سبيل الله، ولو كان هناك مطبات من هذه، أولاً: أنّه يأتي تأييد من جهة الله تجعل الكثير من هذه المطبّات لا يكون لها أثرها الكبير، ولو تُرِكَتْ على ما هي عليه في أثرها الواقعي لكانت مرهقة، لكن يأتي تأييد من الله، يأتي عون من الله، وإن كان لا يزال يبقى لها آثار، لكن لاحِظ أنه في حالة أن تتعود على الصبر، وفي حالة أن تعرف قيمة الصبر، وتعرف قيمة العمل الذي أنت فيه، تكون معنوياتك مرتفعة، وتَعتبر نفسك في نعمة توجِد عندك حالة من التحمل لِمَا يأتي، فليكن ما كان، اتركْه ينتهي إلى قتل في سبيل الله، أليس سيَعتبرها فضيلة؟ البأساء والضراء كلها أليست دون القتل؟ أليست دون القتل على الأقل؟

إذا كنت موطِّناً لنفسك وتفهم بأنه حتى أن تُقتل في سبيل الله هو نعمة كبيرة، وشرف عظيم، وفضل كبير لك، ودرجة رفيعة، إذاً فلتكن ﴿الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ﴾ كيفما كانت سنتحملها، إذا كان الناس على هذا النحو، معناه: يكون لديهم قابلية وتوطين لنفوسهم على أن يتحملوا بأساء وضراء، والبأساء والضراء فيما قد يمس الإنسان باعتبار أمواله، وباعتبار بدنه.

أحياناً قد تصل المسألة إلى هذه الدرجة: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾ زلزلة، أحداث، وغربلة، وبلبلة، وأشياء حتى وهم منطلقون على أساس أنهم مؤمنون بنصر الله، لكن تساؤل: ﴿مَتَى نَصْرُ اللَّهِ﴾ ظروف حرجة ﴿أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(البقرة:٢١٤) كأن معنى العبارة: ﴿أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ أنه يأتي الفرج الإلهي، يأتي النصر الإلهي.

لاحِظ قيمة هذه أن تُقدَّم الأمثلة على أن الله سبحانه وتعالى لا يتخلى عن أوليائه، عن المجاهدين في سبيله، في المرحلة الحرجة، أليست المرحلة الحرجة والظروف الحرجة هي التي تجعلك أحوج ما تكون إلى الفَرَج، إلى النصر؟ هي المرحلة الحرجة فعلاً، إذاً ليس معناها: بأن باقي المسيرة من قبل قد لا يحصل شيء، لا.

عندما ترجع إلى القرآن الكريم تجد كيف قال عن معركة (بدر) ذكر أنه أنزل مطراً ليثبت أقدامهم، وذكر تأييد ملائكة، وذكر أشياء كثيرة؛ لأن هذه لها قيمة فيما يتعلق بالثقة، ثقة الإنسان بالله، تكون ثقتك به بأنه لا يتخلى حتى في الظروف الحرجة، فارق كبير لو أن المسألة تُقدِّم أمثلة في بدايات الأشياء، أو في القضايا السهلة قد تقول: لكن كيف لو وصلت المسألة إلى كذا؟ أو قد ترى مثلاً بأنه لم يمر بك ما يُسمَّى فرجاً، أو ما يُسمَّى تأييداً في مرحلة مُعيَّنة، وقد صرت في تلك المرحلة الصعبة تظن أنه قد تخلى منك، كأنه قد تخلى عنك، لا، تكون ثقتك بالله بأنه لا يتخلى عنك، وتقدَّم الأمثلة لترسيخ الثقة بهذه الأمثلة التي تعني: المرحلة الحرجة.

ألم تُقدَّم فيما يتعلق بيوسف عليه السلام في موقفه الحرج جداً مع امرأة العزيز، وهنا في ميدان المواجهة، في ميدان الصراع مع الآخر؛ ليخلق عندك ثقة بأن الله لا يتخلى في الظروف الصعبة، وهي القضية الهامة، أليست هي القضية الهامة؟ الظروف الصعبة، أمَّا أشياء من قبل ربما قد لا تشكّل خطورة لا يكون لها وقع كبير على أنفسنا.

هناك مثال لهذا حتى نعرف قيمة هذه، قد تجد كثيراً من الناس الذين نسميهم – على حسب الشيء المعروف عندنا – مؤمنين، وعُبَّاداً، أليس يذكر لك قصصاً كثيرة عن رحلته عندما يحج، أو يسافر، أن الباري هيأ، ووفق، وسهَّل، وأشياء من هذه؟ عندما تقول له: (نجاهد في سبيل الله) لم تعد لديه هذه الفكرة، قد أصبح لديه فكرة أنه لن يحصل فرج في هذه القضايا الكبيرة، وهو يحكي لك أنها حصلت له تسهيلات في سفره، أو في قضية مُعيَّنة، في تزويج ابنه، أو في بناء بيته، أو في أشياء من هذه: (سهَّل الله، ووفق الله، وهيأ الباري، والباري كريم، ولا يتخلى عن أحد، وأشياء من هذه) لكن اعرضْ عليه موقفاً صعباً، يقول: لا.

إذاً ألا يوجد فارق هنا؟ فأن تُقدَّم الأمثلة التي ترسِّخ ثقتك بالله في القضايا الحرجة، تعطيك ثقة من هنا وكذا إلى أول، من النقطة الحرجة ويكون ما قبلها بالأولى؛ لأن أهم شيء عندك هي الحالة الحرجة، الحالة الخطيرة.

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الـمـوافــق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من هدي القرآن الكريم

ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

دروس من سورة آل عمران	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م
دروس من سورة المائدة	الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م	الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م	الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م	الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م
دروس معرفة الله				
الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م	نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م	نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م	نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م	نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م
عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م	عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م	عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م	وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م	وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م
وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م	وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م	وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م	وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م	وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م
دروس متفرقة				
الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م	{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م	الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م	في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م
خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م	لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م	معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م	معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م	{وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م
{وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م	الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م	مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م	خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م	دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م
{وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م	الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م	آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م	{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م	الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م
لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ	مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م	أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ	يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ	دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ
آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ	الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ	ذكرى استشهاد الإمام علي عليه السلام ١٩ رمضان١٤٢٣هـ	حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ	{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ
الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ	{إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا}	الوحدة الإيمانية	{فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى}	{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَبِّكُمْ}
من نحن ومن هم	دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م			
دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ				
سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ	الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ
سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ	سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ